وجوه عربية

على ضفاف النيل

وداد سكاكيني



مكتبة الأكاديمية

وجوه عربية

على ضفاف النيل

وجوه عربية

على ضفاف النيل

بقلم

وداد سكاكينى



الناشر

المكتبة الأكاديمية

٢٠٠٠



حقوق النشر

المكتبة الأكاديمية

١٢١ شارع التحرير – الدقى – القاهرة

تليفون : ٣٤٨٥٢٨٢ / ٣٤٩١٨٩٠

فاكس : ٣٤٩١٨٩٠ – ٢٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

تقديم

السيدة وداد سكاكينى هى الأديبة اللبنانية السورية قرينة الأستاذ الدكتور زكى المحاسنى الأديب السورى والمفكر العربى الشهير.عاشت فى مصر فترة من الزمن ونشرت بها أحسن أعمالها من كتب ودراسات ومقالات.

والكتاب الذى نقدمه لها اليوم لم ينشر فى حياتها وماتت عنه ـ يرحمها الله ـ وهو مخطوط لم ير النور. وقد عثر على بعضه بخط يدها والبعض مرقونا على الراقنة مما يؤكد على أنه كان فى الطور النهائى للإعداد للنشر.

والكتاب عبارة عن إثنتى عشرة ترجمة لإثنى عشر رجلاً رحلوا أساساً من الشام وعاشوا حياتهم فى مصر، احتضنتهم أرض مصر، وعلى ضفاف نيلها العظيم تفجرت مواهبهم وإبداعاتهم وأعطوا مصر والعروبة أقصى ما عندهم. وفى كل صفحة من صفحات الكتاب تؤكد الكاتبة على فضل مصر وبرِّها بمن يلجأ إليها واحتضانها ورعايتها له.

وتكشف الكاتبة فى إحدى هذه التراجم عن الأسباب التى دعتها إلى إعداد هذا الكتاب حين قالت فى ترجمة نقولا حداد: لقد هبت رياح الهجرة على لبنان كما تهب على الأزاهير فتبدد شملها لكنها تحمل أريجها إلى مكان آخر. كذلك حفزت الهجرة نفراً من شباب لبنان ـ وقد ضاق أفقه بطموحهم ونبوغهم ـ فأنطلقوا كما تنطلق الطيور من أقفاصها، ولا أعدو الصواب فقد كان حكم العثمانيين لبلاد العرب غاشما عاتياً فكبت الحرية والمواهب الفكرية، وضيق الخناق والأرزاق فانفلت من انفلت إلى الأمريكتين، وانقلب من انقلب إلى وادى النيل، حيث نزل فريق من اللبنانيين والسوريين وكانوا يسمون جميعا الشاميين وماتزال هذه التسمية تطلق عليهم فى مصر، فلم يهبطوا مصر هبوط المتنبى بفارس، ولم يكن منهم أحد غريب الوجه واليد واللسان بضفاف النيل وقد سبق المصريون جيرانهم واخوانهم فى تنسم الحرية بسبب خلاصهم من الحكم العثمانى واستقلالهم بولاية البيت العلوى الكبير.

ولو أتيح لكاتب أو لمؤلف أن يستقصى أخبار هؤلاء النازحين منذ أعقاب القرن التاسع عشر إلى الديار الأمريكية أو المصرية لأتى على المجلدات الضخام، دون أن ينفد ما عنده من سيرهم وأخبارهم. إنها عالم هائل يعج بكبريات الأحداث وصور السعى والكفاح فثورة الكرامة والطموح، وفورة العزائم وقوة الإرادة والإيمان بالله والمستقبل، كل ذلك موضوعات منوعة واسعة المجال تجول فيها الحقيقة. وكانت منازع هؤلاء تختلف وحظوظهم تتفاوت فمنهم من طلع نجمه فى

التجارة حتى أثرى فأنسته الثروة غابره الأنكد، وقد أمرع نبته واينع فاتخذ الدور والقصور وملك المصانع والسيارات، فكان ذا فضل على نفسه أو قليل الفضل على غيره ومنهم من لم يستطع أن يتخلى عن حرفة الأدب الذى أدركه منذ الصغر فاتخذ القلم عدة وسنداً ولم تلهه عنه حرفة أو وظيفة وكان فضل هذه الطائفة أعم وأبقى لأنها عملت لمجد دنياها وسمعتها. وفى آفاق مصر أطلت أقلام المهاجرين كواكب كان لها من الأثر البالغ والصيت البعيد...

ومن هذا المنطلق شاءت الأديبة الكبيرة أن تصور بأسلوبها الرشيق الذى عهدناه منها دائماً وبتحليل عميق حياة هؤلاء المهاجرين إلى مصر وآثارهم الفكرية وأثر مصر عليهم.

أما عن صلتى بأسرة المحاسنى فهى صلة قديمة ترجع إلى أكثر من خمسة وثلاثين عاماً عندما التحقنا بقسم المكتبات والوثائق فى كلية الآداب بجامعة القاهرة فى العام الجامعى ١٩٥٩/ ١٩٦٠ وكان فى هذه الدفعة سوريون وسعوديون وعراقيون ومغاربة وسودانيون وتونسيون. وكان العدد الأكبر من الطلاب العرب من السوريين الذين جاءوا للالتحاق بجامعة القاهرة عقب الوحدة المصرية السورية؛ وكان من بين السوريين كريمتا السيدة وداد سكاكينى: ذكاء زكى المحاسنى و سماء زكى المحاسنى اللتان تخرجتا معنا صيف ١٩٦٣. ورغم الإنفصال بين مصر وسوريا بعد الوحدة القصيرة وانقطاع العلاقات المصرية السورية أمداً طويلاً، إلا أن صلتى بأسرة المحاسنى لم تنقطع يوماً.

وتخليداً لذكرى الراحلة العظيمة والأديبة الكبيرة وداد سكاكيني نقدم كتاب «وجوه عربية على ضفاف النيل» والذى ينشر لأول مرة ولم أتدخل فى ترتيبه أو نصه أو معلوماته إلا فى نطاق ضيق.

أ. د. شعبان عبد العزيز خليفة
أستاذ ورئيس قسم المكتبات والوثائق
والمعلومات ـ جامعة القاهرة.

الجيزة

٢٠٠٠

إشـــارة

وجوه عربية على ضفاف النيل قد رأيت بعضها لشخصيات أدبية ونسائيةوصحافية وانسانية لأصحابها الذين هاجروا من بلادهم العربية بعد أن رأوا أهلهم وبلادهم فيها يعانون المظالم من الحكم العثمانى وقد اختاروا مصر وطناً لهم وسكناً فكانوا فيها مكافحين مدافعين عن العروبة والحرية فى مجال وسيع إذ كانت مصر تفتح صدرها للاجئين العرب على أن يحافظوا على الأمن والنظام، فعمل بعضهم فى الصحافة وبعض آخر فى التجارة أو فى فن الغناء والتمثيل. وقد قيض لبعضهم بسطة فى العيش وشهرة واسعة لم يدركها أمثالهم من المصريين. وكان العصر مهيأ للظهور لهم ولغيرهم. أما من سبقوهم إلى الجهاد بالقلم والبيان فكان منهم الكواكبى والشدياق وجاء مصر بعدهما يعقوب صروف وزميله فارس نمر بمجلتهما **المقتطف** فجددا بانشائها وبنائها وجاء مصر بعدهما جرجى زيدان فكا مؤلفاً ومؤرخاً قدم المؤلفات والروايات وأسس مجلة **الهلال**.

وتوالى نزوح المهاجرين العرب إلى مصر فكانوا فيها متمصرين.

هذه لمحات عن بعض الوجوه العربية التى رأيتها أو عرفتها بآثارها ومآثرها أقدمها ليراها الجيل العربى الجديد ويلمس ما كابد أصحابها من مشقة وعناء فى غربتهم.

وداد سكاكينى

* * *

- ١ -

شبلي شميل

١٨٥٣ - ١٩١٧

إن التقاء الشرق بالغرب واصطدام القديم بالحديث يبرز صورة مثالية لعالم يحمل المعول، لكنه في أعماق نفسه شرقي في كل شمائله وخصاله، أبيٌّ في انطباعات روحه، هذا واحد من الذين نزحوا من لبنان إلى مصر، لم يتصدر الزعامة الفكرية أول الأمر في القاهرة لكنه قصد « طنطا » وأقام فيها سنوات « طبيباً » هكذا كانت مهنته وقد أكمل دراسته في بيروت بالجامعة الامريكية عام ١٨٧١ فهو زميل الدكتور يعقوب صروف ومن الدفعة الأولى في الكلية ثم سافر إلى فرنسة فأتم دراسة الطب، ولما عاد منها مضى إلى« كفر شيما » مسقط رأس نصيف اليازجي الذى كان يتغنى به شبلى ثم جاء إلى مصر وأقام في طنطا حتى عام ١٧٩٥ وحينما انتقل إلى القاهرة نشرت « الهلال » أنه افتتح عيادة « بالغورية » في القاهرة والفقراء

يعالجون فيها مجاناً، على أنه في خلال عزلته بطنطا كان دائب الكتابة والنشر فى « المقتطف » فقد أفسح له زميله صروف أن ينشر فى مجلته وإن كان على خلاف معه بالرأى ولم يلبث شبلي أن أصدر كتابه « فلسفة النشوء والارتقاء وأصل الانواع ».

ويعد شبلي شميل رائد الدعوة للفكر المادى فى الشرق والعالم العربى، وأستاذ المدرسة التى سارت فى الطريق نفسه من بعده فرح انطون و اسماعيل مظهر وسلامة موسى وقد عرف شبلى شميل بحدة الذكاء وسرعة الخاطر كما عرف بالصراحة والاريحية وسماحة النقد ولم تكن دراسته كما نعلم أساسا هى دراسة العلوم الطبيعية لكنه درس الطب ولما سافر إلى أوروباتحولت نفسيته ووقع الحادث الذى غير مجرى حياته فقد التقى هناك بأحد علماء المادية ذلك الذى استطاع أن يوجهه فى عنف نحو ذلك الطريق الذى جرى فيه والذى كان فيه جريئا وحذراً فهو قد استطاع فى هذا الوقت المبكر أن يصطدم بعقائد الجماهير وأن يخالف معتقداتهم ومع ذلك لم يقع الصدام بينهم وبينه لأن خلافه فى الأساس كان قائماً مع معتقداته فى مجال الفكر المسيحى الغربى فإذا ما اتصل بالفكر العربى الإسلامى كانت له آراء غاية فى الاعتدال والانصاف وقد تحدث الدكتور شبلي شميل إلى بعض خاصته بأنه كان فى نشأته متديناً مبالغاً فى التدين ولم تطرأ عليه فكرة المادية الخالصة إلا بعد سفره إلى أوروبة حيث لقى أحد العلماء فقال له كلمة هدمت معتقداته وحرفته إل الوجهة التى أعجب بها وآثر أن يوليها قلمه

وعقله. وتعطى آثار الدكتور شميل صورة نفسه، إنه رجل عاطفة يسبغ على آرائه صورة العقل فهو أساساً يريد أن يكون حراً فى أن يقول ما يشاء لا تحول أية قوة دون هذه الحرية ولذلك فهو منصرف عن دنيا الناس وغاياتهم وعظمائهم لانه لا يريد أن يكون مستعبداً على أية صورة من الصور فقال: « إن طبعى يأبى التقرب من كل كبير إذا كان لهذا التقرب أى ضغط على حريتى فلايعنى أن أجلس مختاراً مجلس الخانع الصاغر لما يفتخر به عماد السلطة وهو فى الحقيقة امتهان للنفس وخداع للغير، والتأدب الصحيح هو إعطاء جليسك حقه من الاحترام مع رجولة تحفظ كرامتك فلا تجعل كلامك تأميناً على كل ما يقال ولا تجعل نفسك كالظل تتبع به حركات جليسك العظيم فى كل شىء تبتسم إذا إبتسم وتقوم إذا قام » لذلك لم أسع فى حياتى كلها إلى التقرب من أى رجل عليه مسحة من المتمسكين بالآداب الزائفة ومن هنا كان تجافيه عن الرياء ومظاهر الابهة وتشوقه إل الإعلاء من شأن العلم إعلاء القرن التاسع عشر له، فالفلسفة عنده ستصبح مبتذلة فى مستقبل الأيام والعالم الرياضى أقصر كلاماً «وأفصح بياناً» وأبسط اسلوباً من العالم اللغوى والعالم اللاهوتى.

ومن رأيه أن علوم اللغة صارت مماحكات لاطائل تحتها لاكلاماً وضع للتعبير عن الفكر والشعور، ترديداً لا إبداعا فى وصف الحقائق والمحاماة.

وقد واجه الدكتور يعقوب صروف مفاهيم الدكتور الشميل بالمعارضة قائلاً إن هذا ليس مجاله الحقيقى وانه لم يدرس هذه العلوم كما درسها صروف الذى كان يرى أن مثل هذا المسائل يجب أن تؤخذ بالحذر

وقال صروف إن خطته نشر الآراء الحقيقية الحديثة وكذلك عارض جرجى زيدان اتجاه الدكتور شبلي الشميل حين أثار إلى حملته على النظم الاجتماعية فى مقدمة كتابه « شرح بختر على دارون » الذى ظهر عام ١٨٨٤ ودعوته لإقامة فلسفة الاجتماع على القوانين الطبيعية وقوله بذهاب الرئاسات فى الدين والسياسة ومساواة الناس فى مستقبل الايام وتوحيد اللغات توحيد الامم وقال زيدان إنها نظريات لاتخرج إلى حيز العمل لأن الإنسان مفطور على الدين ولا يعرف الإمتديناً فهو لا يتخلى عن دين الإليعتنق دينا آخر.

وأن الشميل أغرق فى المادية وأصبح لا يعبئاً بغير المحسوسات ولا يرى للعلوم الأدبية كالتاريخ والأدب واللغة والشعر فائدة كبرى.

لكن هذا الوجه المتجهم للدكتور شميل الذى كان قصيراً إلى الحد الذى جعل الكثيرين يعارضون بينه وبين ماينسب إلى دارون هذا من أن أصل الإنسان من فصيلة القرود والشميل كان إنساناً على جانب كبير من دماثة الخلق.

* * *

- ٢ -

محمد كرد علي
من الرواد المعاصرين للنهضة الاسلامية و العربية
١٨٧٦ ـ ١٩٥٣

تنبأ في طفولته بأنه يتمنى ويريد أن يكون فى كبره من العلماء. فإن والدته أخذته معها وهو فى السادسة من عمره لتزور أهل الشيخ محمد الطنطاوى، بحى القيمرية فادخلوهما قاعة وقع فيها نظر الطفل على رفوف فى الحيطان صففت عليها مجلدات فشهق الطفل مما رأى متعجباً وهمس في سمع أمه: ما هذا الذى أرى على الرف ؟ فأجابته: هذه كتب يقرأ فيها العلماء.... فأجاب أمه: وأنا أحب أن أتعلم هذه الصنعة فى كبرى.

أبوه عبد الرزاق جاء جده من الكرد الايوبيين فى سليمانية العراق وأحب دمشق فأستقر فيها وعمل فى بادئ الأمر خياطاً ثم زاول التجارة فربحت تجارته واشترى مزرعة بجرين فى الغوطة كان يتعهدها

بعنايته وتكفيه غلتها فى معيشته وأمه شركسية من القفقاس فهو آرى الدم، عملت فى طبيعته وصفته عوامل البيئة الاسلامية والثقافة العربية والغربية فهو فى تعدد الانتماء شبيه بأحمد شوقى الشاعر وقاسم أمين الداعى لتحرير المرأة المسلمة والعربية فى مصر والبلاد العربية وقديماً كان ابن سيناء وابن الرومى من متعددى الانتماءات.

أدخله أهله إلى مدرسة « كافل سيباى » الابتدائية وعمره لا يتجاوز العاشرة ليتعلم القراءة والكتابة ومبادئ العلوم، وفى مدرسته رأى ذات يوم شيخاً ما كان قد رآه من قبل يوبخ تلميذا بلهجة مغربية ويضربه بذيل جبته فعجب محمد كرد على لصورة الغرب بالجبة وسأل عن الرجل فقيل له هذا هو المفتش وهو أعلم من معلمنا ويستطيع أن يعزله... فقال فى نفسه ليتنى أكون مثله وما كان هذا المفتش إلا أستاذه وصديقه [من بعد] الشيخ طاهر الجزائرى وأخذ كرد على يستزيد من اقتناء الكتب التى أحبها واشترى له أبوه عبد الرزاق جملة صالحة مما كان يباع فى الجامع الأموى بعد صلاة الجمعة فى مزاد التركات فصحب الفتى اليافع الكتب ولازمها وقرأ فيها الثقافة العربية والاسلامية ومال إلى قراءة الصحف اليومية والمجلات الشهرية وسنه لايتجاوز الثالثة عشرة، وحين أنهى الابتدائية دخل المدرسة الثانوية ثم اللعازارية وكانت لغته العربية والفرنسية تؤهله لكى يطالع الصحف باللغتين واشترك فى جريدة فرنسية أسبوعية كانت تصدر فى باريس وتعلق بمطالعة جريدة

« لسان الحال اللبنانية » لأن فيها أخباراً طريفة مترجمة عن الانكليزية كما كان يطالع بعض الصحف التركية وبخاصة المجلات الأدبية والتاريخية فنشأ فيه ميل عميق إلى الأدب والصحافة والثقافة وما كاد بلغ السادسة عشرة من عمره حتى أخذ ينشر أخباراً ومقالات فى الصحف المحلية والمصرية.

وراح يتلقى العلم على فريق من أهله ووطنه وفى طليعتهم الشيخ طاهر الجزائرى والشيخ سليم النجارى والشيخ محمد المبارك ونما فى نفسه حب العربية وآدابها وأحب الكتب القديمة التى كان لشيوخه الفضل فى تحبيبها إليه، وتعريفها وتيسيرها فجمع منها محمد كرد على عدداً كبيراً من مجلدتها بالرغم من ندرتها وقد وصف لنا ثقافته قائلاً « وأهم ما أولعت بمطالعته بعد درس المطبوع من كتب الأدب العربى وجانب من المخطوط الذى عثرت عليه من كتب الفلاسفة وعلماء الاجتماع ـ قرأت بالفرنسية أهم ماكتب فولتير ومونتسكيو وروسو وسبنسر وقوليين وتين ورينان وسيمون وتدارست المجلات الفلسفية والاجتماعية والأدبية باللغة الفرنسية وجريت منذ نشأت على أن أقرأ أكثر مما أكتب وقلما كتبت موضوعاً لم أدرسه ولم تتشربه نفسى وقال: وإنى ما أزال أذكر ما كنت أكثر من مطالعته وحفظه أيام تعلقى بالأدب من مقامات الحريرى ورسائل الخوارزمى والصابى والأصفهانى والزمخشرى، ولما كتب لى الاطلاع على الآداب التركية والفرنسية أخذت أبحث عن كتب بلا تكلف مثل كتاب الجاحظ وابن المقفع وعبد الحميد الكاتب وسهل بن هارون وأبى حيان التوحيدى »

وتأثر كرد علي بالقرآن الكريم وطالع طرفاً صالحاً من الحديث وحفظ المعلقات وعدداً من دواوين العرب وحفظ نصف ديوان المتنبى وعدة قصائد لابن أبى ربيعة والبحترى وأبى تمام والرضى وابن الرومى والطغرائى والمعرى وعلى بن عبد العزيز الأرزجانى وغيرهم من الشعراء المحدثين والمخضرمين.

وعمد إلى الكتابة المرسلة دون أن يتكلف الاسجاع وأصبح حجة فى بحوثه ومؤلفاته. وشهد صديق رافقه فى وزارة المعارف وفى المجمع العلمى وعايشه وعاصره فى دمشق هو الشاعر شفيق جبرى الذى عين فى عهد الوزير كرد علي رئيساً لديوان المعارف قائلاً « لقد وقفت على كثير من خصائص كرد على ومنازعه وطبعه وكثيراً ما كان يطلب من أصحاب المكتبات الفرنسية كتباً فى أكثر الموضوعات وبخاصة موضوعات الاجتماع وما أذكر أنه كان يمر عليه شهر واحد دون أن يطلب كتباً جديدة من باريس للمطالعة، ومن روما ولندن. ولم يقتصر كرد علي، على المطالعة وإنما أضاف إلى نهمه للعلم والمعرفة ما أكمله بالأسفار والرحلات إلى الاسيتانه ومصر ولبنان وقد رحل إلى أوروبة عدة رحلات وألف بعد عودته « غرائب الغرب » زار فرنسة ووصف ريفها ومدارسها وحضانة الأطفال وزار علماء الاستشراق فى بلجيكا وهولانده وزار مكتبة لندن كما زار جامعتى اكسفورد وكمبردج وكان يحث العلماء والمتعلمين من أبناء الأقطار العربية والإسلامية على الاستزادة من العلم والبحث أو التأليف وكان للشيخ طاهر الجزائرى أثر كبير فى نفس محمد كرد

علي فقدم للقراء عنه ترجمة واعية. ووفاء لحق هذا المعلم عليه توج كتابه « كنوز الأجداد » بسيرته.

كان يكره الاستعمار ويحب الحضارة وبحث على تعلم اللغات الأجنبية ويكره السياسة العثمانية ويقول إن استيلاء الترك على أرض العرب أضر بها وأزال حضارتها وغير أخلاق أهلها ولم يكن ينكر على الأتراك أدبهم فى عشرتهم ونظامهم فى بيوتهم.

وكان محمد كرد علي يحب من الأمم الحديثة كل أمة ترفق بالمسلمين ويحب الناس الطيبين وكان يقول وهو على فراش الموت « زوروا رجالكم واغفروا لهم بعض زلاتهم ».

كان من الرواد الذين عبروا عن دعواتهم عن طريق الصحافة العربية فى سورية. وكان أول من أنشأ جريدة يومية فى دمشق هى « المقتبس » أصدرها عام ١٩٠٨ على إثر عودته من مصر بعد إعلان الدستور العثمانى ظناً منه أن عهد الاستبداد قد زال، ويرتقى تاريخ عمله فى الصحافة إلى سنه المبكره من عمره فقد ترك الوظيفة فى قلم الأمور الاجنبية سنة ١٨٩٨ ، بعد أن سلخ فيها ست سنوات وما كان عمره يومذاك يزيد على اثنين وعشرين عاما. وكان دؤوباً على قراءة الصحف المصرية ومتابعة القراءة للصحف التركية والفرنسية وحين وجد من نفسه القدرة على الكتابة أخذ يراسل الصحف ويكتب المقالات وينشرها باسمه وقد دخل مصر عام ١٩٠١م قاصداً زيارتها والتعرف إلى معالمها وآثارها ورجالاتها وبخاصة الإمام محمد

عبده وتيمور وأحمد زكي وكان ينوى أن يقضى فيها أياماً ثم يزمع السفر إلى باريس للدرس والاطلاع وقد عرض عليه صاحب جريدة الرائد المصرى بواسطة صديقه محمد رشيد رضا العمل فى جريدته فأعتذر لازماعه السفر إلى باريس، وعرضت له أمور فى دمشق اضطرته إلى أن يفضل البقاء على مواصلته السفر إلى فرنسة وتقبل رئاسة التحرير في الرائد، ولما انتشر وباء « الكوليرا » فى القطر المصرى عام ١٩٠٢ رجع إلى دمشق، واغلقت « الظاهر » لافلاس صاحبها فاشتغل بالترجمة لصاحب « مسامرات الشعب » وترجم له روايتين فى مدى ثلاثة أشهر وعلى أثرها تولى رياسة التحرير فى « المؤيد » وصار له أصدقاء رأوا إخلاصه في خدمة مصر فصاروا يفتحون صدورهم ودورهم للضيافة فيها. قال كرد علي: وكانت تتلخص خطتى فى « المقتبس » بنشر البحوث العلمية والأدبية والتاريخية والاجتماعية والتراجم للأعلام من السلف الصالح وكان ينقل من المجلات الغربية وبخاصة ما كان يخص الحضارة والاختراع وينقل بعض الروايات عن الفرنسية. كما كان ينشر المخطوطات العربية القديمة النادرة فجمع بذلك بين القديم والحديث وقد صدر من مجلة المقتبس ثمانية مجلدات وعددان من المجلد التاسع وانقطع صدورها فى الحرب العالمية الأولى ولم تعد إلى الصدور وقد سلمت تحرير الجريدة بعد وفاة أخى أحمد كرد علي وأنا فى الوزارة، إلى محرر أراد أن يخدم بعض الاحزاب على حسابى وبلسان جريدتى، وأطال لسانه فى بعض زملائى من الوزراء فأمرت بإغلاقها .

أما الخدمات الاجتماعية التى أدتها « المقتبس » فنافعة وشاقة.

وحين انسلخت الشام من الدولة العثمانية، ودخلت الجيوش العربية سورية فى أعقاب الحرب العالمية الأولى قامت فى سورية حكومة عربية برئاسة الملك فيصل وحين بدأت فى تكوين إدارتها المدنية رأت من وسائل رقيها أن ينشأ فيها ديوان للترجمة والتأليف واصلاح لغة الموظفين وإدارة شؤون المعارف فعهد برئاسة هذا الديوان إلى محمد كرد علي وكان أعضاؤه فى أول أمره من الاساتذة أمين سويد وأنيس سلوم وسعيد الكرمى وعيسى اسكندر المعلوف وعز الدين علم الدين التنوخى ورأت الحكومة العربية أن تضم إلى الديوان دار الكتب الوطنية « المكتبة الظاهرية » كما وافقت الحكومة على قيام هذا الديوان بـإنشاء المتحف العربى فى دمشق فأهتم أعضاؤه بجمع ما تفرق فى أطراف البلاد السورية من الآثار القديمة والتحف التاريخية والزخارف البنائية الممثلة للفن العربى وخصصت الحكومة لهذا المجلس ميزانية تساعده على القيام بمشاريعه.

وعقد أول جلساته فى المكتبة الظاهرية عام ١٩١٩ وأخذ يوالى جلساته وجمع كتباً فى اللغات الفرنسية والانكليزية والالمانية، جمع منها كتباً قيمة إلى جانب تماثيل حجرية و أوانٍ معدنية وزجاجية وخزفية ومجامع نقود ذهبية وفضية ونحاسية وأسلحة وصفائح حجرية وغيرها وفى ٨ حزيران عام ١٩١٩ أصدر الحاكم العسكرى على رضا الركابى أمراً يقضى بتسمية « ديوان المعارف » المجمع العلمى

العربى فى دمشق وذلك استجابة لرغبة محمد كرد علي رئيس الديوان بعد أن عين ساطح الحصرى رئيساً بدلاً من كرد علي وكان من أمانى كرد علي قيام المجمع العلمى الذى نبتت فكرته فى نفسه عام ١٩٠٩ حين زار فرنسة ورأى ماقام به مجمعها فى باريس من خدمات للغة والثقافة. وتكونت هيئة المجمع فى دمشق من سبعة أعضاء والرئيس كرد علي وانضم إليهم الشيخ طاهر الجزائرى بعد عودته من مصر إلى الشام مريضاً بالربو واختار المجمع بدلالة رئيسه ومعرفته أعضاء مراسلين نافعين من البلاد العربية وبعض المستشرقين. وقد بذل هذا الرئيس جهده لنجاح المجمع وأنشأ له مجلة تعبر عنه فى مقالات رئيسه واعضائه وكان ذلك عام ١٩٢١.

ولقى الرئيس صعوبات جمة فى تذليل العقبات التى كانت تعترض المجمع ومنها حملة بعض النواب عليه وادعاؤهم بأنه لا نفع من المجمع لكن صيحات من سعد الله الجابرى وفارس الخورى وغيرهما أسكتت الناقمين ـ ولما صار كرد علي وزيراً للمعارف اقترح أن يكون رئيس المجمع الأمير شكيب أرسلان غير أن اقتراحه لم يلق قبولا.

وأقام المجمع حفلات تكريميه للشعراء حافظ ابراهيم وأحمد شوقى وخليل مطران كما أقام حفلاً تكريميا للناشئين من الشعراء أولهم زكى المحاسنى وأنور العطار وجميل سلطان وعبد الكريم الكرمى.

وعكف العلامة محمد كرد علي على التأليف فقد نصحه صديقه رفيق العظم بأن ينصرف إلى التأليف الكبير دون المجموعات الصغيرة ومثله قام جرجي زيدان بنصح كرد علي بأن يترك الصحافة وينصرف إلى تأليف الكتب وقد استطاع أن يقدم من المؤلفات مايأتي:

خطط الشام

غرائب العرب

القديم والحديث

أقوالنا وأفعالنا

الحضارة الإسلامية في عز العرب

الرحلة الأنورية

غوطة دمشق

دمشق مدينة الشعر والسحر

وكان يتتبع ما قال المستشرقون عن الدين الاسلامي فإذا دعي إلى مؤتمراتهم ذهب إليها وناقش الاعضاء مناقشة لبقة حكيمة.

وكان لكرد علي صداقة مع مستشرقين غير متحيزين ولامتعصبين ومنهم اختار للمجمع أعضاء مراسلين ولقي منهم استجابة كريمة.

ومن مؤلفاته التى أحبها كتابه « كنوز الأجداد » صدره بمقدمة ثم ترجمة لحياة استاذه الشيخ طاهر الجزائري ومن التحقيق فى التراث كان له: البيزرة؛ الاشربة؛ المستجاد من فعلات الأجداد. وله أيضاً كتاب أمراء البيان ورسائل البلغاء. وبعد غيابه عن الدنيا وجد ولده طريف بين الورق المخطوط كتاباً مخطوطاً عن « المعاصرين » تحدث فيه عمن عرفهم من كبار الرجال فى مصر وسورية ولبنان.

وفى أعوامه الأخيرة غدا شيخاً مريضاً وكان يكتب المذكرات فحفزه دساسان من دمشق وحلب ليطعن فى ثلاثة من الأدباء المصريين الكبار فاستجاب لهم وخشى إذا ذهب لحضور مجمع فؤاد الأول للغة العربية أن يلقى عتباً وغضباً فتقاعس عن السفر ولولا الدكتور زكى المحاسنى وزوجته وداد سكاكينى لتقدم الغاضبون باقتراحهم، ومع ذلك فقد وقف الدكتور منصور فهمى مؤنباً كرد علي فى حفل تأبين أقامه مجمع مصر لبعض الأعضاء الراحلين ولاذ بمزرعته فى الغوطة التى أحبها وعاش أكثر شهور العام فيها مع الفلاحين والطيبين من أهلها.

ولا ينسى الذين استمعوا لآخر محاضرة ألقاها فى مجمع اللغة العربية وكان عنوانها « الالفاظ المستحدثة فى اللغة العربية » كيف ارتفع صوت عباس محمود العقاد قائلاً: ولله المثل الأعلى فتوقف كرد علي مبهوتاً مبثوتاً ثم تابع كلامه.

وقد عجب الذين قرؤوا اعترافه بالخطأ فيما كتب عن أنداد

وأصدقاء له ما رأى منهم شراً ولا نكرا... لكن الدساسين اللذين تشردا في البلاد لقيا جزاء الفتنة التي أوقداها عند الرئيس.

ومن عجب أظهره بعض الذين عرفوه حين ترك مزرعته لولديه في جسرين وترك بيته في دمشق لبناته! وقد تساءلوا عن الحكمة في هذا التصرف.

وحين أصابه المرض واشتدت الشيخوخة لازم بيته في دمشق حتى توفاه الله يوم الجمعة الرابع من نيسان عام ١٩٥٣ فبكته دمشق التي أحبها وتفانى في خدمتها وقد دفن في مقبرة « الباب الصغير » بجوار معاوية في قبره وابنه على الضريح العجلاني الأديب وبموته خسر العالم الإسلامي والعربي عبقرية شامية لا تنسى.

* * *

- ٣ -

خليل السكاكينى

رائد مجدد فى الأدب العربى المعاصر

١٨٧٨ - ١٩٥٣

ما ندمت على احجامى عن لقاء معلم أديب لا ينسى كما ندمت على إحجامى عن لقاء أكبر أديب ومعلم فى عصره ووطنه.

أنبتته القدس بفلسطين عام ١٨٧٨ قبل نكبة العرب باحتلالها واغتصابها وكان رائداً من رواد الأدب العربى المعاصر وقد شارك فى الدعوة لتحرير الأدب من التكلف والتقليد، وبقى خليل السكاكينى دائباً على تحرير الفكر والتعبير فى حياته وفى مؤلفاته بعد وفاته.

وقد حملت لقب هذا المعلم الأديب من والدى محمد السكاكينى الذى كان يقول: أنا اليوم لبنانى وإن تكن لى جذور لأجدادى مصرية وكان أخى الأكبر خليل سمياً لهذا الأديب

المجد،على أني لم أسع إليه في وطنه القدس أو في القاهرة بعد تشريد الفلسطينيين عن ديارهم وبلادهم فقدْ تهيبت لقاء هذا الأديب بل ٣٠ تحرجت من هذا اللقاء إذ قيل لي إنه حزين ومفجوع بوحيد سري وبزوجته سلطانة ومدينة القدس وكنت خجلة وجلة من ربي ومن نفسي.

ولو لقيته لسألته عن أصله وأهله، وعن لقبه الذى تلاقى عنده عقيدتان في وجه الحق والسلام.

فلئن فاتني في حياتي هذا اللقاء فما فاتني هدفه بعد غيابه عن الدنيا ـ فيما رأيت وسمعت أو قرأت في ذكرياته بيومياته ـ إذ قال فيها: « أنا لا أنتمي إلا إلى نفسي فأنا خليل السكاكيني » وكأنه بقوله هنا يريد أن يقول إن الإنسان بعقله لا بأصله وأهله، على أنه قال: جاء جدى الذى لم أعرف اسمه قبل أربعة قرون إلى القدس ليعمل في التجارة ويجاور الأماكن المقدسة وقد عرف خليل جدته اليونانية التي علمت أباه لغتها وكان والده من تجار الخشب وكان متعلماً يعرف لغة أمه اليونانية والروسية والتركية حتى أنه كان يدعى في العهد العثماني للترجمة إذا نزل القدس غريب عنها. ولقد أنبتته القدس خليلاً الذى عرف بمكارم الأخلاق واختارت أباه طائفة الارثوذكس ممثلاً لها في أكثر المجتمعات الخيرية وفى الحكومة العربية. كان خليل السكاكيني رائداً من رواد التجديد في الأدب العربي المعاصر وكان معلماً للأدباء وأديباً ومؤدباً للمعلمين، وقد عرفته بلاده الفلسطينية كما عرفته مصر والبلاد العربية.

تعلم خليل السكاكينى العربية من أكبر معلميها فى أيامه وهو نخلة زريق الذى كان عضواً فى المجمع العلمى العربى بدمشق ثم عضوا فى مجمع فؤاد بالقاهرة. وقد تخرج خليل من الكلية الانكليزية فى القدس. وفى مطلع هذا العصر أخذ فى تعليم نفسه بنفسه وتأديبهاحتى غدا فى بلاده أكبر أديب ومعلم، على أنه لم يحمل أية إجازة جامعية أو اختصاص بالتربية بل كان بالفطرة والممارسة مربياً ومعلما.

عين السكاكينى، خليل فى عهد الانتداب البريطانى عام ١٩٢٢ لتدريس المعلمين وفى عام ١٩٢٥ عين مفتشاً عاماً للمعارف الفلسطينية وفى عام ١٩٢٦ عرض عليه أن يكون فى البرنامج العربى مديراً ومراقباً فرفض هذا المنصب وقد علق على كلامه بأن الإذاعة كانت تتصل باسرائيل.

وفى العقد السابع على تأسيس الانتداب الانكليزى على فلسطين قال خليل السكاكينى: سأقى رجلاً بلا ارتباط سياسى فلا أنتمى إلى حزب أو جماعة بل سأبقى عاملاً لمصلحة الشعب الذى أعيش بينه، لكن توقعاته تغيرت إزاء الظروف السياسية التى مرت بها فى أثناء الحرب العالمية الأولى ودعوته للإنسانية ومن تهديد « الصهيونية » لعرب فلسطين وتأييد بريطانية للصهاينة جعل السكاكينى قومياً أكد تلاميذه اعتزازه بالجنسية العربية وأخذ يبشر فى مقالاته بالقومية العربيةوأن أقوم مقوم للأمة العربية هو لغتها وهاجم

السكاكينى الذين يستخدمون الانكليزية والفرنسية فى الحديث وهم من العرب، وقد كشف عن الضعف العربى المعاصر، غير أنه لم يكن حراً فى هذا الاتجاه وظهر فى الثلاثينيات جيل من الكتاب كانوا أصغر منه سناً، فيهم قدرى طوقان الذى أتم تعليمه فى الجامعة الامريكية فى بيروت. وفى أثناء الحرب العالمية الأولى أقام خليل السكاكينى فى دمشق وعقد صداقة وعلاقة مع الشاعر والصحافى خير الدين الزركلى الدمشقى وأتيح له أن يطلع على النهضة الأدبية العربية فى مصر فانتقل إلى القاهرة وعين مديراً لإحدى المدارس الارثوذكسية الخاصة ولم تكن مصر فى ذلك العهد تدعى زعامة النهضة الأدبية للعالم العربى فحسب بل كان هناك اتجاه يتبلور بين المثقفين المصريين.

وقد عاش السكاكينى بعد هجرته إلى مصر يؤمن بأن وطنه هو الوطن العربى كله وقد اختير فى مصر عضواً فى مجمع فؤاد للغة العربية خلفاً للشيخ مصطفى عبد الرازق وعضواً فى المجمع العلمى العربى بدمشق خلفاً لاستاذه نخلة زريق، وقد جمعت يومياته بعد وفاته فى كتاب بعنوان كان يردده فى حياته.

أنشأ خليل السكاكينى مع الاستاذين إبراهيم الخورى ولبيب غليقة كلية النهضة الثانوية وبقى يديرها حتى وقعت نكبة فلسطين فجاء مصر واقام فيها وفجع بولده الوحيد « سرى بعد أن فقد زوجته سلطانة فضعضعته هذه النكبات وقضت عليه. ومن مؤلفاته: الجديد فى القراءة العربية؛ سيرى الدليل؛ مطالعات؛ ماتيسر؛ لذكراك فلسطين بعد الانتداب.

وكان ممن رثوه فى مقالات: عيسى الناعورى الأردنى وزكى مبارك المصرى ورفيق الحسينى الفلسطينى.

ومن أصدقائه: اسعاف النشاشيبى واسحق موسى الحسينى وغيرهما كثير وكانت وفاته فى القاهرة حيث دفن فيها.

أما كريمتاه: هالة ودمية فهما تحترفان مهنة التعليم فى.. رام الله.

* * *

- ٤ -

الدكتور نقولا فياض

١٨٧٣ - ١٩٥٨

ولد فى بيروت وتلقى علومه فى مدرسة الثلاثة أقمار حيث غرس معلمه نعمة يافث حب الأدب فى نفسه فراح نقولا يعترف لاستاذه بهذا المعروف ويقدم له بديوانه « رفيف الاقحوان » وقد عمل فى التجارة سنتين عاد بعدها يدرس الطب فتخرج به من كلية الطب الفرنسية فى بيروت عام ١٨٩٩ ولازم مدة ستشفى القديس تجيور جيوس للروم الرثوذكس وسافر بعدها عام ١٩٠٦ إلى باريس طلبا للاختصاص فقضى فيها خمس سنوات ورجع بعدها إلى مصر حيث قضى فيها ٢٣ سنة بين الاسكندرية والقاهرة وشارك فيهمافى الحركة الأدبية وعاد بعدها إلى لبنان ١٩٣٠ وخلف أخاه الشاعر إلياس فياض نائباً فى مجلس النواب اللبنانى ثم عين مديراً لمديرية البريد وترك بعد ذلك الوظيفة لينصرف إلى الأدب.

كان فياض نقولا من رواد الشعر الطليق هذا الشعر المنظوم فى مبناه الممزوج بالبحور المختلفة فى نظمه كما كان من الرواد فى حركة التجديد فقرن الجديد فى القديم فى شعره.

تأثر بالأدب الفرنسى الحديث وأعجب بمشاهير شعرائه فترجم للامرتين قصيدته « البحيرة » ولموسيه اذكريني ولسوللى برودم « سيف» وليفكتور هوغو « الزهرة والفراشة » وهذه القصيدة نفسها ترجمها الشاعر العراقى محمد الهاشمى بعنوان « الوردة والفراشة » .

بدأ فياض بنظم الشعر منذ مطلع القرن الحاضر حين كان الشعر العمودى سائداً لا يكاد يخرج عليه ناظم أو شاعر ودرج فى معظم قصائده على الاسترسال فى التلاعب بالقوافى والبحور، دون أن يسئ فى شئ إلى الوزن الحقيقى.

من مؤلفاته: حول سرير الامبراطور؛ الخطابة؛ بعد الأصيل؛ الخداع والحب؛ خواطر فى الصحة والأدب؛ دنيا وأديان؛ رفيف الاقحوان؛ على المنبر؛ كيف تغلب الإنسان على الألم؛ كيف تغلب الانسان على المرض؛ المرأة والشعر؛ مملكة الظلام أو حياة الأرض؛ من نافذة العقل.

* * *

- ٥ -

فارس نمر

من مواليد حاصبيا فى جبل خرمون بلبنان بلدة الأمير مصطفى الشهابى وأهله. تلقى دراسته فى المدرسة الأمريكية التى سميت فيما بعد الجامعة الامريكية برأس بيروت، وفى هذا المعهد أو الجامعة تلاقى فارس نمر مع يعقوب صروف على أن يصدرا نشرة وكان يعقوب مثله شاباً دؤوباً محباً للعلم بحراً فى المعرفة فاجتمع النابغان يتدبران أمر الثقافة وكيف يمكن تنشيطها والفكر وكيف يمكن إشاعته والأدب كيف يمكن السمو به والالفة بين المفكرين وكيف يجوز تعزيز عراها فاستقر رأيهما على اصدار نشرة صغيرة من ملزمتين اختارلها الدكتور فانديك اسم « المقتطف » وقال لهما اجعلاها جديرة بهذا الاسم.

وأخذ فارس نمر ويعقوب صروف يصدران هذه النشرة سراً ويوزعانها سراً ولا يكتبان عليها تاريخا ولا يضعان لها رقما خشية أن يثور عليهما السلطان المستبد للدولة العلية العثمانية لكن ما حذراه



وقع فسرعان ما افتضح أمر هذه النشرة وخشى السلطان التركى أن يستيقظ الشرق النائم، ويطالب بحريته وخاف أن تتبدد غشاوات الجهل التى ترين على عيون أبناء الشرق فيثب وثبة تحرره من نطاق سلطته فبعث برسله إلى فارس نمر ويعقوب صروف ينذرهما ويحذرهما ويأمرهما بالكف عن اصدار المقتطف ولكن المقتطف كان قد ساير الشمس فى دورانها فدرت بأمره الدوائر العلمية فى كل مكان فى الهندوالملايو والصين شرقاً وفى الولايات المتحدة وكندا وأمريكة اللاتينية غرباً وفى جميع الأقطار الناطقة بالضاد لأنه كان مجلة يقدم للقارئى صفوة الفكر الغربى فى برشام ويطالعه فى مستهل كل شهر بآخر ما تمخضت عنه أدمغة المفكرين فى آفاق الفلسفة والعلم والأدب والدين والزراعة والصناعة والطب والشعر وغيرها.

وظن فارس نمر ويعقوب صروف أن الشرق يضيق بهماوأن منابر الرقعة الخاضعة للنفوذ العثمانى ليست منابر حرة عالية يستطا ع منها توجيه الرأى العام فاستقر رأيهما على أن يسافرا إلى الولايات المتحدة مع ركب المهاجرين الماهدين حيث يستقران ويواصلان نشاطهما الأدبى والفكرى وشدا الرحال إلى مصر توطئة لسفرهما إلى أمريكة.

لكن انباءهما كانت قد سبقتهما إلى مصر وعرف رياض باشا وزير المعارف أن العالمين الكبيرين فارس نمر ويعقوب صروف يحزمان الحقائب إلى الدنيا الجديدة فوجه إليهما دعوة للقائه فى مكتبه وكان يحسب أنه سيلقى ببابه شيخين جلل الشيب هامة الرأس عندهما

لكنه وجد شابين فى مقتبل العمر فيهما كثير من الحياء وكثير من التواضع فاستقبلهما بحفاوة بالغة وقال لهما انه انتفع بالقتطف فى تحسين مزارعه واستخدام أنواع ممتازة من السماد فى إخصاب أرضه فأتت بثمر كثير وعرض عليهما أن يقيمافى مصر وكفل لهما حرية تامة فى الاقامة بمصر واصدار المقتطف وفى استئناف نشاطهما العلمى الذى وقفاه فى بيروت واستأنف فارس نمر ويعقوب صروف عملهما وانضم إليهما زميل ثالث هو شاهين مكاريوس وأحدث الثلاثة ثورة فى الفكر فى العالم العربى بمجلة المقتطف التى تضخمت حجماً واكتظت دفوفها بالمواد الدسمة وصارت رسولا يغزو كل ركن من أركان الفكر فى العالمين الشرقى والغربى.

ولما ترامت إلى جامعة نيويورك أنباء هذين الشابين المجاهدين دعتهما لزيارتها لتمنح كلاً منهما درجة الدكتوراه الفخرية فى العلوم اعترافاً بما اسدياه من خدمات للحركة العلمية فى العالم وكانت هذه هى المرة الأولى التى منح فيها شرقى درجة رفيعة كهذه من جامعة عريقة كجامعة نيويورك ومن صلب المقتطف ولد المقطم وهو الابن البكر للدكتور فارس نمر لأن للصديقين صروف و نمر تقاسما العمل فاستقل الدكتور صروف بشئون المباحث العلمية فى المقتطف واستقل الدكتور نمر بشؤون المباحث السياسية فى المقطم وبدأ فارس نمر معركة جديدة فى حياته لأن صراعه مع سلطان تركيا العثمانى بدأ من جديد وصار سافراً غير محجب وصار السلطان لا يخاف شيئا كما يخاف المقطم وكم بعث السلطان

رسلا إلى فارس نمر يغرونه بالمال وبالرتب لكى يكف عن حملته على السلطان فلم يستطع أحد أن يثنى هذا النمر عن ضرواته.

وفى سبيل الحركات القومية ألف الدكتور فارس نمر جمعية سرية تناوئ تركيا ولا تزال حجرات دار المقطم تحتفظ بذكريات أعلام العرب والشرقيين الذين كان يجمعهم فارس نمر حوله يدبرون تدبيرهم ويضعون خططهم ومن سخرية الاقدار أن الحكم بالإعدام صدر على فارس نمر ثلاث مرات فى حياته ولكن فارس نمر رأى مصارع جلاديه واحداً واحدا وبقى هو يغالب أيام الدهر حتى وافته منيته.

وصار فارس نمر قوة مرهوبة لانه رجل صادق يحمل قلماً شريفا يدعو لمبادئ سامية وأصبح صديقاً حميما للمرحوم الخديوى عباس حلمي الذي أرسله إلى السر إدوارد جراي وزير خارجية بريطانيا ليكلمه فى أمر تنازل الخديوي عن عرش مصر على أن يسند إليه عرش دولة شرقيةأخرى كسورية لكن هذا المسعى أخفق قبل أن يبدأ لأن رصاصاً أطلق على الخديوى، فى تركيا وقبل أن يبرأ تماما كان قد عزل عن عرشه فعلا وكان فارس نمر صديقاً للخديوى توفيق وللسلطان حسين وللملك فؤاد وللأمير محمد على الذي كان ولياً لعهد مصر حتى ولد للفاروق نجله الأميرأحمد فؤاد وكان مستشاراً غير رسمى ووسيطاً غير رسمى لأنه كان رجلاً معروفاً باستقامته وإخلاصه كما كان محبوباً من الجميع موثوقاً به من الجميع.

وقد عرضت على فارس نمر رتبة الباشوية غير مرة لكنه كان يعتذر عن عدم قبولها مؤثراً أن يبقى« محرر جرائد » بعيداً عن زيف الرتب والألقاب. اختير فارس نمر عضواً فى مجمع فؤاد الأول للغة العربية فكان برغم تقدمه فى السن أوفر أعضاء المجمع نشاطا وكان يرأس بعض جلساته باعتباره رئيس السن كما اختير عضواً فى المجلس المصرى للثقافة العلمية منذ إنشائه ثم عين رئيساً له وكان كذلك عضواً فى مجلس الشيوخ المصرى فى فترة من الفترات ومما يجهله أبناء هذا الجيل أن فارس نمر هو الذي ذلل العقبات التى كانت تعترض سبيل تولى سعد زغلول باشا رئاسة الوزراة الأولى فلم يكن من المألوف أن يتولى واحد من الفلاحين المصريين منصب الوزير لأن المناصب كانت حكراً على الأتراك لكن سعد زغلول خرج على هذا العرف بفضل فارس نمر ومما لم يسجله التاريخ أنه عقب وفاة المغفور له السلطان حسين كامل فى عام ١٩١٧ اتجهت النية عند البريطانيين الذين كانوا آمرين ناهين فى مصير مصر إلى استقدام أمير هندى ليتولى حكم مصر وذكر فعلاً اسم الآغاخان لكن فارس نمر ثار.

قال وديع فلسطين: ـ

«وعرفت فى فارس نمر صلابة فى الرأى إذا استيقن أن الحق فى جانبه فقد كان عنيداً صلب الرأى لاينثنى عن أمر إذا ارتآه صوابا إذا قال فعل وإذا وعد أنجز وقد وقف وحده يناوئ السلطان فلم يقو السلطان على كسر شوكته وحاول الوسطاء فأبى وقال انه لايضع يده فى يد هذا المستبد» .

«وعرفت فى فارس نمر احتقاراً للحياة وعرفت منه أن من ازدرى الحياة تشبثت به وأن من سخرمن الجاه أتاه يسعى وقد كان فارس نمر بسيطاً فى ملبسه وفى مأكله وفى حياته اليومية وكان لايبالى أأقبلت عليه الدنيا أو أدبرت وكان ينكر ثراءة لا عن جحود نعمة الله بل عن أنفة من أن يقيس الناس قدره بثرائه».

«وعرفت فى فارس نمر قدرة على التوفيق بين الدين والدنيا فقد تفقه فى العلم ودرس النظريات ماكتبه منها داروين واينشتين وغيرهما من العلماء الذين تحدوا الدين ولكنه كان أصيلاً فى إيمانه يتحدث عن الحياة الأخرى ويؤمن بها ويعتصم بحبل الله ولا يتخلى عنه».

«عرفت كل هذا وأكثر منه فى فارس نمر الذى كان لى أباً وصديقا وأستاذاً».

«ومما يحز فى نفسى أننى كنت آخر من تحدث مع الدكتور فارس نمر قبل أن تأخذه غيبوبة الموت فقد دعانى لرؤيته ومكثت معه زهاء نصف ساعة جرى الحديث بيننا سريعاً خاطفاً فقد كانت كلماته ونصائحه هى آخر ما فاه به ولما هممت بالانصراف شد على يدي وأجحش بالبكاء وقال إننى ماض ولن أراك ثانية فقلت له بل سأزورك وأجدك على خير ما يرام لكنه كان يقدم رجلاً إلى لحده ويجر الثانية إليه متثاقلة وبعد غيبوبة احتوته يومين طلق الدنيا فى غياسى وإذا كان فارس نمر قد ذهب فإن المشعل الذى رفعه لا

يزال مرفوعا، وقد كنا نود أن نرى فارس نمر يتقدم الصفوف ليشهد حفلاً يقام بمناسبة اليوبيل الماسى لمجلة المقتطف التى سلخت من العمرخمسة وسبعين عاماً كاملة لكن المنية كانت معه على موعد فحرمته لذة ساعة يتوج فيها جهده الأدبى وجهاده العلمى بمشهد من ملأغفير.

على أن فارس نمر كان يتهم عملاء الانكليز فى جريدة « المقطم ».

* * *

\- ٦ -

نقولا حداد فى حياته وثقافته

لقد هبت رياح الهجرة على لبنان كما تهب الأزاهير فتبدد شملها، لكنا تحمل اريجها الى مكان آخر، كذلك حفزت الهجرة نفرا من شباب لبنان، وقد ضاق افقه بطموحهم ونبوغهم فانطلقوا كما تنطلق الطيور من اقفاصها، ولا اعدو الصواب فقد كان حكم العثمانيين لبلاد العرب غاشما عاتيا، كبت الحرية والمواهب الفكرية، وضيق الخناق والارزاق، فانفلت من انفلت الى الامريكتين، وانقلب من انقلب الى وادى النيل، حيث نزل فريق من اللبنانيين والسوريين، وكانوا يسمون جميعا الشاميين، وما تزال هذه التسمية تطلق عليهم فى مصر، فلم يهبطوا مصر هبوط المتنبى بفارس، ولم يكن منهم احد غريب الوجه واليد واللسان بضفاف النيل. وقد سبق المصريون جيرانهم واخوانهم الى تنسم الحرية بسبب خلاصهم من الحكم العثمانى واستقلالهم بولاية البيت العلوى الكبير.

ولو اتيح لكاتب او لمؤلف ان يستقصى اخبار هؤلاء النازحين منذ اعقاب القرن التاسع عشر الى الديار الاميركية او المصرية، لأتى على

المجلدات الضخام، دون ان ينفد ماعنده من سيرهم واخبارهم، انها عالم هائل يعج بكبريات الاحداث وصور السعي والكفاح، فثورة الكرامة والطموح، وفورة العزائم وقوة الارادة والايمان بالله والمستقبل، كل ذلك موضوعات منوعة واسعة المجال، تجول فيها الحقيقة اكثر مما يجول الخيال، وكانت منازع هؤلاء تختلف وحظوظهم تتفاوت فمنهم من طلع نجمه فى التجارة حتى اثرى فانسته الثروة غابره الأنكد، وقد أمرع نبته واينع، فاتخذ الدور والقصور وملك المصانع والسيارات، فكان ذا فضل على نفسه، او قليل الفضل على غيره، ومنهم من لم يستطع ان يتخلى عن حرفة الادب الذى ادركه منذ الصغر فاتخذ القلم عدة وسندا، ولم تلهه عنه حرفة او وظيفة، وكان فضل هذه الطائفة اعم وابقى، لانها عملت لمجد دنياها وسمعتها.

وفى آفاق مصر اطلت اقلام المهاجرين كواكب كان لها من الاثر البالغ والصيت البعيد ان اسهمت فى نهضة الفكر والصحافة بوادى النيل. وسأتخذ من « الأديب » مجال القول ذا سعة فى الكلام على من عرفت من هؤلاء واحطت باخباره وآثاره وكانت له يد فى كرامة العلم والحرية، وانى لبادئة وحفية بالترجمة والتحليل لعالم طلعة وفيلسوف رياضى عرفه قراء « الأديب » وملأت شهرته ديار النيل، ذلك هو الاستاذ نقولا حداد.

فى قرية « جون » من قضاء الشوف بلبنان، جوار دير المخلص المشهور، ومدينة « صيدون » العريقة بتاريخها وآثارها كان مولد « نقولا الياس حداد » عام ١٨٧٢.

وقد بدت في طفولته ونشأته ملامح الوعى المبكر، فادخله اهلوه المدرسة الامريكية في صيدا، وكانت مدة الدراسة خمس سنين فاتمها في ثلاث، اذ كان في عطلة الصيف يدرس على نفسه دروس السنة التالية، ثم يؤدى امتحاناتها فيرقى الى ما بعدها، وهذا التفوق جعل المرسلين من الامريكيين للتعليم ينتدبونه للتدريس قبيل تخرجه من المدرسة وبعده، واخذت نفسه تطمح الى العلوم العالية ودراسة اللغة الانكليزية، التى تتيح له تحقيق طموحه في الكلية الامريكية ببيروت « الجامعة الآن » واستطاع بجده ودأبه أن يجتاز الامتحان للسنة الثانية من القسم العلمي فيها.

وقد مال الى الكتابة وهو في مدرسة صيدا، طالبا ومعلما فأنشأ مع اترابه واصحابه صحيفة سماها «المحبة»، حظت بتقدير المدير الامريكى حتى اعد لها مطبعة خاصة، وفي كلية بيروت اسس مع بعض صحبه جريدة باسم «الحكمة»، ولم يقنع بالنشر في هذه الصحيفة المدرسية، بل كان يكتب مقالات للنشرة الاسبوعية ولسان الحال وغيرها في بيروت، وقد تمرس بنظم الشعر حتى لقب بشاعر الكلية في ذلك العام وصار يدعى الى الحفلات العلمية والادبية ليلقى خير قصيدة فيها، وكانت مجلة الضياء لصاحبها الشيخ ابراهيم اليازجى تحتفى بشعره فتنشره تقديرا له وتشجيعا.

وفي اعقاب الدراسة بالكلية الامريكية عرضت عليه المشاركة في تحرير « الرائد المصرى » لصاحبها المرحوم نقولا شحادة، فآثر الصحافة ملبيا مرضيا، وبادر الى القاهرة على شوق واستعداد.

وحين ادرك ان الصحافة وحدها لا تؤمن المعاش، احب ان يتعلم الطب غير ان بعض التكاليف والتبعات صرفته الى دراسة الصيدلة التى كانت فاتحة عهد جديد فى حياته، فقد اتقنها واجادها غير ان الحنين الى الصحافة بقى يعاوده فلم يكد يحصل على دبلوم الصيدلة حتى عاد الى القاهرة محررا فى « الرائد المصرى » زهاء اربع سنوات، وفى هذه الاثناء عرف الكاتب المتحرر الاستاذ فرح انطوان صاحب مجلة «الجامعة» التى كان لها دوى بعيد فى عالم الفكر والمجتمع.

وفرح انطون لا يستطيع القلم ان يتجاوز اسمه دون ان يؤدى اليه حقه من الذكر الجميل فقد كان علما من اعلام النهضة الفكرية فى الشرق، ولولا ان شيخنا العبقرى مارون عبود قد جلا للجيل الصاعد صورة رائعة لفرح انطون لظل مجهولا لدى الكثيرين من المعاصرين.

لقد اتيحت الشهرة وانبسطت آفاق التأليف اعجابا بآثار الشدياق واسحاق، واليازجيين والبستانيين وجبران والريحانى، فعرفهم الناس وتداولت الايدى آثارهم، وكان وفاء جميلا من ادباء العصر ان يذيعوا فضلهم ويحللوا منتوجهم ومحصولهم، ولو اتيح مثل ذلك لفرح انطون وهو لا يقل عن هؤلاء فكرا واثرا لحقق ذكره فى الاسماع والمحافل. وكانت الاديبة الآنسة روز شقيقة فرح تمارس الصحافةوتنشىء مجلتها « السيدات والرجال » فخطبها الاستاذ نقولا حداد، وكانت هذه الكاتبة المثقفة تتفتح فى قلمها وتفكيرها مثل

زهر اطل على الربيع، ولأمر مكتوب فى التئام الشمل بين اديبين ليؤتى اطيب الثمرات الفكرية فى عالم الصحافة والتأليف ان خطب الاستاذ نقولا حداد وردة الفيحاء التى انبتتها طرابلس الشام، ثم اتفق الكاتبان على الهجرة الى الولايات المتحدة، مستجيبين لدعوة بعض الاصدقاء الذين لوحوا لهما بمستقبل رائع فى نيويورك، حيث ينشئان « الجامعة » جريدة يومية.

وما كاد يستقر بهما المقام ويحققان رغبتهما ودعوة الاصدقاء، حتى قامت دونهما عقبات فانصرف الاستاذ نقولا الى التجارة، لكنه اخفق فيها، اذ كانت امريكا يومذاك تعانى ازمة مالية فاضطر الى العودة لمصر، وفيها حن الى الصحافة التى احبها ولباها، فانتدب للتحرير بجريدة « المحروسة » اليومية التى كان يصدرها الاستاذ زيادة والد المرحومة « مى » كما نضم الى اسرة التحرير فى الاهرام وقد احتفت كبريات الصحف والمجلات فى مصر والمهجر بشعره ومقالاته.

ولم يجد مناصا من التمرس بالصيدلة التى وأتت طبيعته وثقافته فاسس صيدليته المعروفة الى اليوم باخزاخانة حداد، فى شارع شبرا الكبير، وقد عدت هذه الصيدلية من الصيدليات الكبرى الاربع التى اختصتها مصلحة الصحة العامة بمصر للخدمة الليلية فى القاهرة.

ولما انتهت الحرب العالمية الاولى تاقت زوجته السيدة روز انطون الى اعادة مجلتها التى توقفت بسبب هجرتها لامريكا، وقد استعانت بزوجها على انشائها ونشرها.

وعلى الرغم من انصراف الاستاذ نقولا الى تجهيز صيدليته بجهازها الممتاز واشرافه عليها فانه لم يفتر عن الدرس والبحث في علوم العصر، وما سئم التنقير والتأليف فقد وضع كتابه المشهور في علم الاجتماع بمجلدين ضخمين ـ الاول في حياة المجتمع، والثاني في تطوره وكان سباقا الى التأليف في هذا الموضوع بالشرق العربي، وتأليفه هذا يعد في تاريخ التدوين المعاصر مأثرة حميدة وسبقا مجيدا، اذ ان علم الاجتماع من العلوم الحديثة في تاريخنا، وقد كان من اخلاص المؤلف للعلم انه لم يرض عن كتابه « الحب والزواج » فلما أعاد طبعه أعاد وضعه وبناه من جديد، على وجه يرضاه التتبع والشمول، وما لبث ان نشر كتابه « ذكر وانثى خلقهم » ولا ريب في ان لحياته الزوجية اثرا في هذين الكتابين، وهذا يدلنا على اصالته وسجيته في التأليف، وكذلك وجدناه فما نلقاه او نتحدث اليه ويتحدث الينا حتى يعكس لنا بمرآة نفسه الصحافية حياته التي يحياها كل يوم وهذا ضروب الايمان الفكري الذي يظهر في كل حين عند اهليه الاصفياء.

ومؤلفات الاستاذ حداد بواكير في موضوعاتها، فمنذ ثلاثين او اربعين عاما لم يكن علم النفس معروفا بالشرق ولا شاعت كتبه وآراؤه، وهو علم لا يزال حديثا في الغرب، أفليس من سوابق التأليف والاطلاع ان يكتب الاستاذ نقولا في هذا العلم المعاصر في تلك الردحة البعيدة فيؤلف كتابه علم ادب النفس ويخوض في الفلسفة الخلقية والروحية بما لا يستطيع ان يخوض في افضل منه اساطين الفلسفة المعاصرة.

وكتابه فى الاشتراكية قديم، يوم لم يبلغ هذا المذهب مسامع الشرقيين، وما يكاد جليسه يثير ذكرى هذا الكتاب حتى يعتدل المؤلف فى جلسته ويحكم وضع نظارتيه على ارنبة انفه، واذا هو من وراء السنين فى بياض شعره ووقار سمته آخذ بشرح المذاهب الاشتراكية وماكان من امر الانجيل الحديث فيها الذى وضعه كارل ماركس، والاستاذ حداد معتدل فى آرائه الفلسفية شأن المفكرين والحكماء، متتبع لمذاهب الفلسفة ومؤلفاتها فى الغرب والشرق لا يفوته اى جديد فيها.

ولا ادرى كيف اصف احاطة الاستاذ حداد بعلوم العصر، فهو عالم طلعة ما كاد يدور فى اسماع المثقفين اسم اينشتين ونظريته النسبية حتى توسع فى علوم الطبيعة والفلك والالمام بكتبها القديمة والحديثة، حتى استطاع ان يحلل تلك النظرة التى شقت على الاكثرين، ثم ألف « هندسة الكون حسب ناموس النسبية » و «فلسفة التفاحة او جاذبية نيوتن» ففى الكتاب الاول بسط المؤلف مقومات الناموس الرياضى الذى ابتدعه اينشتين، وكان هذا الناموس من اغرب الالغاز العلمية فى هذا العصر لما فيه من بحوث غامضة استطاع الاستاذ حداد ان يجلو هذا الغموض للمثقفين العرب، وقد راى ان فهم النسبية ممن عالجوها اهون من تفهمها من صاحبها الذى لم يستطع ان يصوغها بشكل واضح، وسيظل كتاب الاستاذ حداد عن « اينشتين ونظريته النسبية » احد المصادر الجامعية فى الدراسات الرياضية المعاصرة.

اما الذرة وشروق عالمها الحديث، فقد تلقاه الاستاذ نقولا قبل غيره من علمائنا المتبحرين، فكان سباقا الى تفهم الذرة وتفتيتها فيما نشره من مقالات طريفة ثم فى كتاب « عالم الذرة أو الطاقة الذرية » فكانت مفتاح البحث فى هذا الابداع العلمى الذى طلع من الغرب وحول الحضارة الحاضرة الى عهد لا يدرى أحد مدى العمران فيه او التهديم، ولو كان العرب كيان دولي يتيح لهم كلمة فى العلم المعاصر لصح ان يكون الاستاذ حداد احد علماء الذرة، ولكني استغفر الله، فانا اجيره من هذه الحمأة الوبيلة فان علماء الذرة انما يكيدون اليوم للانسانية ويعدون لها أفانين الفتك والتدمير، اما هو فرجل ملائكى الطبع انسانى المذهب، على طول ما عرفته ما سمعت عنه كلمة تؤذى مخلوقا، ولا عانيت منه فعلا كان للسوء.

وللاستاذ حداد روايات اربت على الثلاثين عدا، وضعا وترجمة، وقد اعيد طبع بعضها وترجم بعض منها الى اللغات الفارسية والهندية، وتتناول رواياته قضايا اجتماعية خطيرة، وجلها يهدف الى خير الانسانية فى تهذيب النفس وامتاع الروح.

كذلك شعره الكثير الذى لم يجمعه ديوان مطبوع، غير ان النزعة العلمية والفلسفية تغلب على قصيده من طول تمرسه بالعلم والفلسفة.

على ان القارئ يحار فى آفاق الاستاذ نقولا حداد وقد تعددت وتحددت، فهو متنوع المواهب، موزع الثقافة، ومحل تشبيهه ليس فى

هذا العصر الذى ساده الاختصاص والتفرد بلون واحد من الوان المعرفة، اما موضع تشبيهه ففي عصور العرب الزاهرة حين كان الجاحظ وابن سينا وعمر الخيام وابن مسكويه وامثالهم من اهل الموسوعات العلمية يخوضون فى علوم مختلفة، ويؤلفون فى اشتات المعارف، وقد قل هذا الضرب من المفكرين والمصنفين فى عصرنا، ولا ينسى احد من المطلعين المتتبعين مقالات الاستاذ حداد فى قضية فلسطين، فقد جلا فيها تاريخ اليهود قديما وحديثا، وبصر العرب بكيدهم وحقدهم وافانين عيسهم وبطشهم وكان الحديد حاميا والاوار مشتعلا وما حيلة القلم اذا حيل بين السيف والنصر، وجأر الزمان بغدر المارقين والمنافقين.

وللاستاذ نقولا حداد آراء ونظرات شأن العلماء الافذاذ فى مذاهبهم وتوجيههم وأهمها:ـ

ـ امكان انتقال الموجات الفكرية من « دماغ الى دماغ » بواسطة الاثير او بمثل الواسطة التى ينتقل فيها المذياع.

ـ ان المثل الاعلى للمجتمع هو التكتل الاجتماعى حول نواة الادب النفسى الاعلى، ومن نتائج هذا التكتل اتحاد الامم فى امة كبرى كاتحاد الافراد فى جماعة، وسيكون ذلك على قاعدة الديموقراطية الاشتراكية، وحينئذ تكون الآداب العليا كغرائز فى البشر بعد زمان طويل.

ـ ان العقل الانسانى سيرقى جدا بحيث يصبح كثير من الامور التى يتلقنها الآن بديهيات يفهمها من تلقاء نفسه او بأقل تلميح او تلويح.

- ان العلم فى المستقبل سيبلغ الى آخر حدود الكون فيعلم الانسان منتهى الفضاء ويعلم جوهر مشتملاته.
- ان الاصلاح الاجتماعي لا يحدث الا على ايدى اهل العلم حين يفلس رجال السياسة.

هذه طرف من أرائه العلمية ونظراته فى المجتمع والحياة، والأستاذ حداد كتاب سيار ونجم دوار ما تلقاه فى مجلسه الاكان لك من حديثه فصل من كتاب، او نقاش فى جدل او تبحر فى مسألة عويصة يأخذ منك ويعطيك ، وكما اتقن فن الكلام بحجة وبرهان كذلك اتقن ادب السماع والاصغاء فهو يصيخ اليك بجملة نفسه حتى يتجلى لك تواضعه فى العلم والحديث، ولو انك رحت تطارحه بما يناقض رايه وتسدد الهجمة عليه لوجدت الصدر الرحب والابتسامة الكريمة.

ولئن ضرب الدهر بينه وبين وطنه الاول فانه طائفة من اترابه وصحبه ما يزالون اذا جمعتهم الاماسى فى ناديهم الشرقى يأخذون بذكر مرابعهم التى درجوا منها والاسباب التى حفزتهم للهجرة والتمصر فيتتبعون مراحل التطور فى آفاقهم الاولى، ويبدو ان الانقطاع الطويل والاستقرار الجميل على ضفاف النيل قد اشاع الفتور فى شعورهم نحو الوطن الاول،

غير ان الدم الذى يسرى فيهم ونوازعه الاصيلة النبيلة يحدوهم فى كل سانحة للتآلف والتزاور والاجتماع فى ندوة واحدة، يتحدثون ويسمرون، ويسمعون للموسيقى التى يحبها الاستاذ نقولا ويؤخذ بسحرها، فهو ذو راى طريف بالموسيقى، ذلك انها يمكن ان

تكون سبيلا لتهذيب شعور الامة وان على الحكومات العربية ان تتوسل بها بهذا الغرض، ويمر بخاطرى الآن اثر المواطن المبدع الاستاذ ميشال الله ويردى الذى ألف كتابه الضخم « فلسفة الموسيقى الشرقية » وقد دعا فيه الى جعل الموسيقى وسيلة لتفاهم الشعوب وسبيلا الى السلام والوئام بين الامم فلقى كتابه حفاوة وتقديرا فى الغرب ومرت به امته وبلاده مرور السحاب، فهما اى الحداد ويردى يلتقيان بهذا الراى السديد، ولا بدع فكلاهما خالص النزعة للانسانية المعاصرة.

لقد ادى الاستاذ نقولا حداد رسالته على الارض اداء مثاليا، فهو زوج وفي ، واب رحيم، وسيعيش بعد عمر طويل السنين المضاعفة المباركة، لانه وضع نفسه فى ولده النجيب الذى تثقف بثقافته الكيماوية وتمرس بها طويلا حتى غدا فيها عالما مرموقا، يبتكر الدواء والبلسم، ويحترف الصيدلة الموفقة بمصر، وقد اعد بنتيه للحياة الجديدة، فاحداهما تثقفت بثقافة امها الصحافية الاولى، والثانية تعلمت علم ابيها.

هذه المامة بحياة الاستاذ نقولا حداد، وعلمه وعمله، وفى النفس شوق الى ابعد من ذلك فى مواهبه وتجاربه، فهو على الرغم من استراحته بعد رئاسة المقتطف، دؤوب على المطالعة والتأليف، ولا ندرى بماذا سيطلع على الناس من كتبه وآرائه فى وقت قريب.

* * *

- ٧ -

حبيب جاماتى*

لو كتب تاريخ الوعى الصحافى الحديث فى مصر والبلاد العربية وفصل المؤرخ او الباحث القول فيمن شاركوا حركة البعث والبناء وادخال الروعة والتجديد فى حياة الصحافة ورسالتها لجاء ذكر الاستاذ حبيب جاماتى فى الطليعة، فهو صحفى بطبعه ومزاجه وان صح التعبير قلت انه موهوب فى هذا الفن الاصيل من مفرق شعره الى اخمص قدميه.

ادركته هذه الحرفة الشاقة منذ كان فتى ناشئا بلبنان ولما جاء مصر تاقت نفسه الى الصحافة فاندمج فيها ومارسها ومارسته حتى طاوعه القلم وحفزته الموهبة والتجارب فانقادت لرجاحته واخلاصه على الصبا وريق العمر، ولم يكن من دأبه التقليد والمحاكاة فلما طلع على الناس بآثاره التى احتوت الفن والابتكار قرأوه بشوق واعجاب وتتبعوه بأمل وانتظار.

كانت الصحافة العربية اول عهد الناس بها بعد الحرب العالمية الأولى ضربا من المقال المسرود والخبر المستفيض وحشدا من

* تكتب أحيانا جماتى كما ورد فى الأصل.

البرقيات والشؤون المحلية، والاقليمية بأداء لا يخلو من الترادف والتسجيع حسبما كان معروفا ومألوفا، فلما جالت في موضوعاتها اقلام حرة مثقفة نهجت هذه الصحافة نهجا جديدا، وتبدلت مطالب القراء الذين دب الوعي في صفوفهم واصبحوا يتطلبون جدة وتنويعا وسبقا، وتحريا للحقيقة اينما كانت، وقد عد هذا التجاوب بين الصحافة الحديثة وبين قرائها تطورا ملموساً يستطيع عالم الاجتماع ان يرى فيه حركة تحول في اساليبها ومظهرها وتحررها من جمودها القديم وتقاليدها الموروثة لتمضي مع حاجة العصر والمجتمع والحضارة التي دخلت الحياة الخاصة والعامة.

وكان الاستاذ جاماتي من شهود هذا التطور العنيف ومن جنده المستبسلين في معركته الظافرة التي احلته فيما بعد مكانته الجديرة بمواهبه ومراياه، على ان الصحافة التي مضت في تحولها المحسوس لتساير هوى الجمهور وتلائم بين مصلحة اصحابها وبين مراد الساسة والحكام لم تستطع ان تجرف الاستاذ حبيب جاماتي بتيارها وتستهويه بسحرها فبقي مع فئة من انداده المتمرسين بالصدمات والجهاد حفيظا على العهد وفيا للرسالة الكبرى، منزها قلمه عن تلاوين الظروف والانسياق مع الحوادث والايام فالحقيقة الراهنة هي هدفه ومناه مهما تألبت الشدائد وتعسرت الاحكام، وكانت سلواه اذا احب ان يخلص من اشواك السياسة ان يرمي نفسه بين ورد الفكر والادب فيطلع على قرائه من حين الى حين بطرف من التاريخ اهملها المؤرخون المعاصرون وقصص في الحب والحماسة اذا قرأها

المتعلم والمثقف، المرأة والرجل، تمنى ان لا ينتهى منها، وما اشبه الصحافى المطبوع بالممثل البارع يظهر على المسرح بأشتات المشاهد فاذا ظهر الاستاذ جاماتى صحافيا بالعربية، مختصا بافأنين فيها، وكاتبا للقصة والتاريخ بلغة الضاد فاننا لم نعجب ان رأيناه ضالعا ايضا فى افق آخر هو الصحافة الفرنسية بمصر والبلاد العربية، وقد ملك قيادة اللغة الباريسية اذ هو اديب فيها يفهم اسرارها وينقد اشعارها ويجرى قلمه فى معانيها كأهلها من الموهوبين، كما ان الصحافة الفرنسية فى مصر وجدت بقلمه ورأيه عونا منه لها وتبصيرا فيما تكتب بغير لغة البلاد، فكان حبيب جاماتى عنصرا طيبا فى هذه الصحافة الاجنبية وديدبانا عليها رقيبا، لئلا تنحرف عن رسالتها فيما اسست من اجله.

وللاستاذ جاماتي صلات مودة بأقطاب الصحافة الفرنسية ورجال القلم فيها، فهو دؤوب المطالعة والتتبع لما ينشر هؤلاء المحررون والمفكرون فى صحافة بلادهم عن وثبة العروبة وهبة الشرقيين ونضالهم وسعيهم الى التحرير والاستقلال، فاذا قرأ الجاماتي مقالا لكاتب غربي يتجنى على العرب ويسيئ الى جهادهم واتحادهم فسرعان ما يشرع هذا الصحافي الامين قلمه الحر لدفع المساءة وتبيان الحقيقة التى يجهلها كتاب الغرب عنا وفيهم من انبسط صيته فى مجال الفكر والادب واتصل بحياتنا اتصالا طويلا.

لقد تعددت جوانب العبقرية فى هذا الصحافي اللبق الذى أوتي حاسة النقد وثقافة الفكر ومرانة السنين فهو يفهم السياسة من ابوابها

ومنافذها، وكان يصطنع فى عهوذ الطغيان اسلوب الحكيم فيجرى التورية والكتابة فى مقالات له مشهورة مازالت موضع التقدير والاعتبار، فكم ثعلب سياسة صوره الاستاذ حبيب مكشوف اللعبة كاشر الفم عن ابتسام ماكر، وقد قدر ساسة العرب قدر هذا القلم الجبار وما اوتى من الحذق والصدق فى تصوير الاحابيل والخفايا فيما يأتمرون به ويظهرون، وما كان اتصاله بالكبراء والمفكرين ملقا او زلفى او ابتغاء مرضاة او مال كما صنع بعض المحترفين من الصحافيين بل كان رايا ناضجا ومجهودا خالصا لوجه الحق قبل كل شيء ثم لخير مصر والعروبة فما من خطب ألم بوادى النيل او بأرض عربية إلارأيت الجاماتى سباقا الى الكتابة فى ذلك الخطب كاشفا عن اسبابه داعياً الى اتحاد الشعوب وتصفية القلوب، ومانزلت بقوم نازلة ضيم وتشريد إلا هب من اجلها حبيب رافعاً الصوت فى النجدة والغوث والتناصر تارة وفى صب جام الغضب على من كانوا السبب تارة اخرى، وكان يدعوه السبق فى الحوادث والتيقن فى الاستطلاع والوقوف على الحقائق من مأتاها ومظانها الى الرحلة والتطواف فى كثير من البلاد الشرقية والعربية غير عابئ بالمعاناة فى سبيل غايته ورسالته ولو ان الجاماتي مال مع رياح السياسة ولم يتخذ الوطنية والحقيقة وجهة وهدفا لكان اليوم فى عداد الذين جعلوا الاقلام مجازا للجاه والمال.

قلت من قبل ان هذا الصحافي الموهوب اوتي ادب النفس والقريحة فهو كاتب باللغتين خطيب باللسانين، سمعته فى حفل

ادبي يرتجل كلاما دقيقا شائقا بالفرنسية التى اتقنها، محللا قصيدة للشاعر الفرنسي موسكينيلي الذى نزل القاهرة فى العام الماضى ونظم مقطوعات يناجي فيها عمر الخيام وجلال الدين الرومي ويمضى عى غرارهما حاملا طاقة من ازاهير المشرق فواحة بعبير الاحلام الفارسية، فاستهوى الاستاذ جاماتي سامعيه بتحليله الجميل وتعليقه الظريف.

وسمعته يخطب فى النادى الشرقى حيث يتلاقى اهل الفكر والوفاء من بلاد لبنان والعروبة متصلين باخوانهم الأدباء المصريين فكان موضوع حبيب الجاماتى ممتعا رائعا لا يحذق القول فيه الامن اوتى دماثة فنه وخفة روحه، كان كلامه على ضروب من الغناء الشعبى فى لبنان، وكانت ترفده فى خطابه وادبه موسيقى فاضل الشوا وغناء مطربتين كالزنبقتين اطلعهما الجيل الملهم شادتين بجماله الاخاذ وطبيعته الموحية ومجده الباقى على الزمان فرد الجاماتي سامعيه من ضفاف النيل الى ضفاف اللبردونى وسفوح الاعالى من الارز وصنين وغيرها من تلك الربوع التى يعبق فيها الصنوبر ممزوجا بعرار الوادى الاخضر فى لمحات الصباح وهبوط المساء.

كانت عيناى اذ ذاك تتقلبان فى وجوه ذلك الجمع الساكن المسحور الذى ارتدى ارواحه فى تلك الامسية الحالمة الى لبنان مأخوذا بغناء صباح ونهوند وادب الجاماتي الظريف، فعاد كل من الحضور الى قريته وذويه ذاكرا فى الخاطر والخيال اهله الأولين

وملاعب الصبا بين الكروم وعند ملتفات العرائش وافياء التين والزيتون.

وكنت افكر بالرسالة التى يؤديها الاستاذ حبيب نحو وطنه الاول فأجدها اكثر تجاوبا وتجارب وابعد اثرا ونفاذا مما تؤديه السفارات الدبلوماسية، واى سورى ولبنانى او فلسطينى او اردنى ورد مصر أديبا مخلصا او مجاهدا ناصحا للعروبة والثقافة والفكر كان تمازجه باخوانه المصريين على حقيقة وكرامة اعم فائدة وابقى خيرا وذكرا، وقديما كانت السفارة الروحية والفكرية بين مصر والبلاد العربية ممهدة لهذا التعارف والتناصر مؤيدة للاسباب الباقية ولاروابط الوثيقة.

اما الناحية الادبية فى الاستاذ جاماتي فقد برزت فى دقة فهمه للأدب الرفيع فى اللغتين وصحة حكمه على التاريخ والاشياء واخذه حوادثه من عالم الحقائق فقد مازج بين الفنين الادب والتاريخ واتقن سكب الاحاديث فى تلاوين الصور وروائع العبرة فكم احدوثة عن السلطان الاحمر على ضفاف البوسفور حيث كانت تقوم الاسوار الشامخة ووراءها غانيات وحسان كاللواتى كن فى الف ليله وليلة، هنالك يمر الكاتب بقلمه فيجلو للاعين والخواطر اروع ما يمكن لمؤرخ او اديب ان يؤديه للادب والقصص، وان النظر والخيال ليترامیان خلف سوءة من عهود الفاطميين والصليبيين والاندلسيين فنرى بعثا لدنيا غابرة كان الاستاذ جاماتي يستطيع بفنه ان يستردها حية خافقة بالرداء والجسوم والالوان.

فتاريخ ما أهمله التاريخ عنوان غدا مقرونا باسم حبيب جاماتي

منذ ربع قرن فلوجمع ما ألف فيه وصنف لجاء مجلدة ضافية، ومن عجب ان يطالبه الناشر بوضوعات خفيفة عابرة يضمن رواجها ويتأبى على المؤلفات التي تمتع الفكر والروح بفنها وطرفتها، ولو اخلصت دور الصحف والنشر اللبنانية الاصل والتى وهب لها الجاماتي زهرات ندايا من شبابه وادبه لاخرجت له فى كهولته اليوم كتبا وقصصا تكون بعض التقدير والكفاء لجهده الطويل المثمر.

واذا تحدثت بالشمائل الجاماتية كان من حقها على وانا اودع فى هذه الصور الشآمية مزايا الموهوبين المخلصين ان اذكر السبب الذى أعان الاستاذ الجاماتي على تفوقه وتوفيقه فى مهمته ووجهته ذلك هو الصدق والقول الصراح فى الاداء والحديث، وقد تكون الحرية والصراحة من معوقات النجاح فى الحياة فمن دأبهما ان تؤذيا احيانا او تسيئا الى صاحبهما لكن لباقة الجاماتي، والجاماتي لبق فى معاملته وكلامه، لبق فى اسلوبه. وابتسامته تعلن حدة الصراحة وتجعلها سائغة حلوة وقد كانت مريرة، ولعل هذه الميرة من اسباب المودة الخالصة والاخوة البارة بينه وبين اخوانه المصريين الذين يختصهم بالمحبة والتقدير ويدفع عنهم كل ضيم وقد وقف قلمه على نصرتهم والذود عن حقوقهم وحريتهم.

وكم يجدر بمثلى وقد عرفته نصيرا للمرأة المتعلمة والمثقفة ان اذكر بعض مآثره فى هذا السبيل ولكن المجال لا يتسع فى هذا المقال، وحسبي ان اشيد هنا بفنه وتجديده واصور لمحات من مجهوده فى الصحافة التى يؤثرها ويحررها، وانه لزاهد فى دنياه زهادة العلماء

الغابرين، ولولا الادب الذى يعيش فى افقه كلما ارهقته الصحافة لتبدلت ايامه، ولكنه فى كل يوم تزدان روحه بأنسها الدائم ومرحه العذب وفلسفته الضاحكة لتنسيه ما فات ولتعده من جديد لامل منشود، لا لنفسه واهله انما لمصر التى احبها وللعالم العربى الذى احبه وعاش مع قضيته الكبرى منذ نشأتها حتى الساعة، فلو تيسر له نشر مذكراته في هذه القضية وملحوظاته لاطلع الناس على أدق الحوادث واصدق الانباء والعوامل التى اختلف الباحثون فى تعليلها، لان تيارات السياسة التى اخذت بتلابيب الشرق العربى كانت كثيرة ومتضاربة، لكن الجاماتي وعنده علم القضية وقصة تطورها قد استطاع فيما اعده للنشر ان يجلو الحقائق من ظلمائها وان يفسر الرموز التى بقيت خفية حتى اليوم.

ولعل منصفا عارفا بالصحافة العربية الحديثة عامة والمصرية خاصة يتصدى فى قريب او بعيد لتأريخ حياتها التى دخلها كثير من الالوان والصور مستنبطا منها الحكم على الحوادث والامور معددا مآثر جندها الامناء، والصحافة كما يقولون ملكة صولجانها القلم وعرشها الصحف وتاجها الاخلاص للحق والوطن، عندئذ يبرز حبيب جاماتي خافقا بين يدى الملكة التى كانت راضية عنه وان غضب بعض الرعية من المتنافسين.

* * *

-٨-

محمد على الطاهر

١٨٩٠ - ١٩٧٢

هذا الاسم الكبير يتجاوب صداه فى العالم العربى كما يتجاوب الصدى بين الجبال الشامخة، ويتردد ذكره ورأيه فى محافل الفكر والوطنية، كما يتردد المثل الطيب والكلمة المأثورة.

لقد حمل السيد محمد على الطاهر، منذ كان فتى صغيراً يتلقى المعرفة والادب ويحس ما تعانيه العروبة من هموم، فكرة كبيرة دبت فى مزاجه وشعوره وسيطرت على وعيه المبكر ووطنيته إنه هو نفسه لا يعرف على التحديد حتى تمكنت منه تلك الفكرة الضخمة التى شبت معه وعاشت فيه على الحداثةوفى الرجولة، يحملها فى ضخامتها ونحافة جسمه وطول مراسه ولا يحس فى ثقلها الا العزة والقوة، لأن نفسه الكبيرة هى التى حملت اعباء الفكرة واعتنقتها، فكأنه الوصى عليها، بينه وبينها عهد قديم شهد عليه جهاده الذى لم يفتر يوماً، فقد نصب عمره للفكرة التحررية، لا يبالى أن يشرد من أجلها وأن يلقى الدواهى فى سبيلها، ومتى آمن المرء بفكرته وعاش لها تمازج فيها ودلت عليه، وقد شاع اليوم فى رأى العالم العربى

وصف المجاهد محمد علي الطاهر بفكرة الوطنية المتوقدة، وانها لفكرة مجردة مجنحة تبدو فى ذاته وصفاته شفافة متوهجة، فهى تتطل من عينيه النافذتين وتحسها فى نبراته ولهجته، وتراها فى حركاته واشاراته، والطاهر نفسه لوسئل عن سرها لما أحار جواباً، لأنها أعم من حسه واقوى من نفسه.

ان رواسب الاستعمار وبقايا عهده ما تزال تجرى فى دماء كثير من مدعى الجهاد ومحترفى السياسة والوطنية منها نسجت الظروف على شخوصهم ومأربهم ستائر التمويه والمغالطة، وكان من حظ الطاهر ان يسلم دمه من هذا الرسوب الوبيل الذى جعل المتلونين والمستغلين كدليل الرياح الذى يدور مع الهواء حيث دار.

أما فكرة المجاهد الطاهر التى ولدت نقية مرة وعاشت فيه قوية متأججة فقد رافقته فى مقره ورحيله وفى ليله ونهاره، ومن جرائها ضاقت عليه الأرض التى أنبتته وأعدته للأيام العصيبة، فانطلق من نابلس قبيل الحرب العالمية الأولى فتى ثائراً يتأبى على الخمول والتربص ويتحرى لفكرته وحريته نوراً جديداً دافقاً رحيباً، فنزل القاهرة كما نزلها من قبل ومن بعد أعلام الفكر وأحرار الرأى الذين وجدوا فى حماها سكناً وأهلاً، وقد كان فى انداد الطاهر من افذاذ المصريين لهيب من الثورة على المحتلين. وكانت الكنانة فى ذلك الحين تضج باحداث « دنشواى » وما خلفت وراءها، ويعيش شبابها المتنور بتعاليم مصطفى كامل وصحبه ، فازداد الفتى الطاهر حمية

ونخوة وعزماً، ومضى في غمرة النضال يدعو لانقاذ فلسطين من غد أسود وعدو يتوعد، ولم يفتر سعيه عن المشاركة فى حركة التبصير والتحرير ومناوأة المستعمر الذى رصد عيونه المتدسسة لتقصى مشاعل الثورة واطفائها بالقمع والحبس والتشريد.

ولم ينج السيد محمد علي الطاهر من السجن عام ١٩١٥، لكن هذه الشدة من المستعمر ما كانت الالتزيد فكرته حدة وتوقداً، فكان يودعها دعوات لليقظة والحذر، ومقالات تحررية وطنية، نشر أكثرها بجريدة « اللواء المصرى » وقد اتخذ التجارة للمعيشة وما هو بسبيله من السعى الى اذاعة العروبة والتأهب للكفاح، حتى غدا متجره المتواضع ملتقى الاحرار ورجال السياسة المشردين من مصر والشام وبلاد المغرب والعراق، فيهم شيخ العروبة أحمد زكى والرئيس شكرى القوتلى، وأعلام الجهاد الوطنى والفكرى: رياض الصلح ونبيه العظمة واميل الخورى وعادل أرسلان ومنصور فهمى ومحمود عزمى، والزنكلونى والسمالوطى والثعالبى التونسى وعمر المختار الليبى وغيرهم كثير ممن كانوا يتخذون مصر ملجألهم ومرصداً لجهادهم حتى احسوا الحاجة ماسة الى صحيفة حرة تعبر عن مشاعرهم وتفكيرهم، وتبصر القوم بقضايا مصر والبلاد العربية مع الغاصبين، فبادر الطاهر إلى انشاء « الشورى » لتكون صوت الفكرة التى يؤديها من ضفاف النيل الى كل بلد عربى يكابد الويل والمحن فى سبيل الاستقلال والى مهاجر العرب فى امريكة وافريقية حيث يتنادى المجاهدون منهم وحملة الأقلام لنصرة الوطن الذى يناديهم،

ولقد ضاق أعوان المحتلين بجريدة الطاهر التى لقيت التأييد والاقبال والتجاوب، وكان هذا الصحافي الذئب مثابراً على تأييد رسالته بالرغم من كل ازمة ورقابة، فكانت « الشورى » تتسلل الى البيوت والمجالس، وتتغلغل بين الاحرار والمجاهدين حاملة انباءهم واراءهم فى المشكلات القومية الراهنة والمساعى الوطنية فى بلادهم وظاهرها، ولم يخف على الحكم الغاشم خطر هذه الجريدة الحرة، فالحق الكيد بصاحبها وهو ماض فى فكرته وجهاده غير عابئ بما أصابه من العابثين بحقوق الوطن، حتى زار مصر « بلفور » صاحب الوعد المشؤوم، واحتفى بقدومه بعض السياسة، فهب الطاهر غاضباً فى تظاهر مع رفاقه، هاتفاً، بسقوط الزائر المداور، لكن الحكومة قمعت غضبه والقته بالسجن فازدادت ثورته على الغاشمين المراوغين، ولم تزده النقمة والمساءة الامضياً فى فكرته التى اخذت سبيلها الى القلوب الواعية والنفوس الحرة في الجيل الصاعد.

وفى مصر اسس المجاهد الطاهر مركزاً لمصلحة فلسطين جعله وسيلة الاتصال بين وفدها فى لندن برئاسة موسى كاظم الحسينى وبين وفد سورية برئاسة شكيب ارسلان وذلك ما بين عام ١٩٢٠ ـ ١٩٣٠ كما اتخذه رابطة بين المجاهد الثعالبى وبين تونس والمغرب العربى.

وفى خلال هذا الدأب والنضال كان الصحافي الطاهر فى القاهرة مثابراً على الدعوة لحرية مصر والبلاد العربية بمقالاته الثائرة المبصرة، وبأقلام الأقطاب من المفكرين والاحرار وقد سجل فى « الشورى »

حوادث الثورة السورية عام ١٩٢٥ ـ ١٩٢٦ وماتلاها من الفورات والانتفاضات السياسية بمصر واقطار العرب، حتى وقعت الحرب العالمية الثانية فكان لاعلانها دوى رهيب ملأالنفوس فى الشرق والغرب قلقاً وفزعاً، وقد سرى فى وادى النيل كثيرمن الوان الدسيسة والوقيعة، أذاعها الارصاد والمضللون كبتاً لحرية الرأى وتنكيلاً بذويها من المجاهدين، لعل الفتنة تفت فى عزائمهم وتشغلهم عن قضايا العروبة والكفاح، وكانت اعين المتربصين تتبع هؤلاء وتنصب عليهم بالحقد والتوعد، وأول من كانت تصيب صاحب « الشورى » لترميه بداهية تطفىء فكرته التى كانت تلقى فى قلوب المحتلين وأعوانهم حمماً، وبخاصة بعد هزيمة فلسطين وافتضاح الذين أضاعوها بخلافهم وخذلانهم لمن افتدوها بالارواح، ففوتوا على الاحرار المناضلين سوائح الخلاص والبطش بالخادعين والاعداء، فضاق المتهمون ومدعو الزعامات بتهكم الطاهر ومقالاته العنيفة التى كشفت عن التضليل و الخطيئات،والناس يومذاك يتقاذفهم القلق والتدليس والاضطراب وقد ازداد وعيهم للحوادث وسرت فيهم النقمة وروح الثورة، وكان الطاهر ينشر المقال تلو المقال فى النقد الصريح والتوجيه السليم، غير عابىء بالمصطفين والمتوسلين بالدس والرياء، حتى ظهر حكم الارهاب وزج الطاهر بالسجن عام ١٩٤٩ مع كثير من الاحرار و الأبرياء الذين كانوا يجاهدون الظلم والاستعمار، فكان غيظ الاستاذ الطاهر من حكام هذا العهد لا يقل عن غيظه من اعداء التحرر والوطنية، ولما ألح عليه المرض فى الحبس والمستشفى آثر الفرار والتنقل فى أرجاء مصر متخفياً تارة برداء بدوى

وقور وتارة بزى معلم أزهرى، وقد تصدت الشرطة السياسية بالاذى لزوجته أم الحسن[1] وسيقت الى السجن تشفياً وإحراجاً، لكن الفرج كان قريباً فقد تغيرت الحكومة وكان رئيسها الجديد عارفاً لجهاد الطاهر وفضله، فضمن له الحرية على الرغم من اعدائه المستعمرين على أن المجاهد الطاهر وقد استرد هذه الحرية الغالية وتحدى الخصوم والناقمين تعهد لرئيس الدولة بالمهادنة والسكينة ريثما تنجلى ايام البلاء.

ولئن وقف نشاطه الصحفي والوطنى لميقات محتوم، فانه عكف على أوراقه فى تلك الفترة يفك الرموز التى كتبها وهو فى السجن، كما عاد الى مفكراته ليستخرج منها صفحات وانطباعات تصور اطواراً مما عاناه فى سعيه وسجنه وما لقيه فى حياته النضالية، لتكون تاريخاً للحوادث المتعلقة بقضية الجهاد ومين شاركوا فيه مخلصين ومستقلين، ولقد استعجل الاديب الطاهر بتصوير تلك الحوادث وتحليلها كما قال فى مقدمة كتابه ظلام السجن « ليضرب الظالمين قبل أن يبرد الحديد» .

وفى ذكريات «معتقل هاكستب»[2] دارت صور هائلة للثورة

(١) لهذه الزوجة الذكية المثالية اثر عميق فى جهاد قرينها الطاهر، على ان المجال فى هذا المقال لا يتسع لتعداد مآثرها ولكن لا بد من القول بأنها لبنانية المولد مصريةالثقافة والوطن.

(٢) هاكستب اسم ضابط امريكي مشهور عند قومه، فلما نزل الجيش الامريكي ارض مصر لنجدة الانكليز فى الحرب العالمية الثانية عسكروا فى الصحراء بين مصرالجديدة والسويس وقد سمى المعسكر باسم صاحبهم الضابط هاكستب، واتخذت الحكومة المصرية مبانيه سجناً.

الفكرية والوعى الوطنى فى مصر والبلاد العربية كانت ثمرة التجارب والتمازج بين الاحرار والمكافحين، وفيها صفحات مشرقة وقائمة لمن اخلصوا لله والوطن أو انحرفوا عن الحقيقة والمصلحة العامة، فتلونوا بتلون الايام والسياسة والقارئ المتتبع يحس مرارة فى السطور التى اودعها المؤلف عتاباً وذكرى لصحبه الذين عرفوه فى الجهاد والقوه فى المحن والنزل الخشن، فلما اظفرهم الله بحرية بلادهم ونعموا بالعزة الوطنية نسوا أن يسعدوه معهم بفرحة الاستقلال وجلاء المحتل عن ارضيهم وديارهم، فكان المجاهد الطاهر فى كتابيه هذين قاسياً على من عاتبهم ولامهم، وهذا الامر منه يحتمل افتراضين، اما انه ذكرهم بما صنعوا واعصابه منتفضة وشعوره انف حزين، لما أحس منهم ساعة الحوادث وإما انه كتب دلك على سبيل الذكرى فان كان الاول فحسبه ما صنع، وان كان الثانى فان الحوادث تبدر للقارئ عميقة فى نفس المؤلف، إذا إن الأيام وتغير الاحكام لم يخففا من هو لها وثقلها، لكنه حلل شعوره فى آخر صفحة من « ظلام السجن » حيث قال: « حتى اننى ـ أنا نفسى قد أغير فكرى فيه، وقد يتغير بعض من ذكرت من اشخاص فهذا كله بيد الله، ونحن فى هذه الدنيا لسنا اكثر من شخوص وأشباح تمر وتنطوى ونفنى جميعاً والمحرك باق ».

ومهما يكن شأن هذا المجاهد المؤلف فيما كتب منتقداً أو مستحسناً أو موجهاً وما أعطى التاريخ من ذكريات ومشاهد فى نضاله واعتقاله، وفى حوادثه وتجاربه، فان صراحته فيما ابدى وحلل وناقد

جعلته يعيش فى نطاق من محبين يفهمونه ويفدونه واصدقاء يظهرون غير ما يبطنون وربما خسر مودة بعضهم واكتسب الثقة والتقدير من الشعوب وأعداء لا يتورعون عن التلفيق ضده دساً، وهم أدرى الناس باخلاصه وتفانيه فى الجهاد وثورته على المستغلين، وهذا كله دليل على سمو شخصيته وخلوده فى تاريخ النهضة العربية التى كان من روادها وطلائع الوعى والتحرر فيها، وان احكام القدر العجيبة هى التى سخرته لهذه الرسالة الشاقة وقضت أن يكون على هذه السيرة داعياً الى اليقظة الفكرية والتعبئة الروحية فى الرجال والنساء ليتحقق الانبعاث المرجو والوعى العام، واليوم يعيش الطاهر ناعم البال بما يرى من تحرر الشعوب العربية وسعيها الى الوحدة والإئتلاف.

على أن المرء ليعجب للطاقة الكامنة فى هذا المجاهد الحر الذى يبدو فى حديثه ومن بين سطوره كالماء النمير عذباً صافياً، لكنه حين تمسه النار وتشتد عليه يغلى كالماء، فهو فى الحالتين يعطى الخير، ولئن كان أبى النفس قوى الثقافة والوجدان حريصاً على كرامته فان فى طبعه وحياته تواضع العلماء وزهادة المجاهدين، ولن يحاسب الطاهر على صراحته لأنه لا يجرح فيها ولا يقدح، وتعبيره بالقلم أو باللسان ممزوج باللباقة والنكتة، لكنه لو أوتى المسايرة والمكابرة لعاش فى راحة وبحبوحة، ولو أنه أدى رسالته فى الادب لبرزت مواهبة فى النقد والتصوير متجردة مسددة، ولقد آثر الصحافة بقلمه الحر ودرايته الواسعة لشئوون السياسة فى الشرق والغرب،

فجال في ميدانها وكان ولا يزال من فرسانها، مجاهداً فيها للعروبة بما ينفع اهلها ويقيم العثار، ولم تكن صحافة الطاهر يوماً حرفة استغلال وملق للجمهور أوذوى النفوذ، ولم ترفدها جماعات أو حكومات، لهذا توقفت « الشورى » عن الصدور وان بقى ذكرها قائماً وأثرها بعيداً وبقيت صحافتها مرجعاً وثيقاً لتاريخ الجهاد الوطنى وتطور الوعى القومى، وحين تعذر على صاحبها نشرها من جديد عكف على تصنيف مذكراته وانطباعاته وتأليف الكتب التى تصور جوانب من الحياة السياسية ابان النضال القومى للتحرر من قيود الاستعمار، ففى عام ١٩٣٢ نشر المجاهد الطاهر « نظرات الشورى » وقد حوت فصولاً وخواطر عن احوال العالم العربى عامة وفلسطين خاصة، ولما أصدر كتابه « معتقل هاكستب » عام ١٩٥٠ نشر فى الصفحة ٦٦٧ اشارة الى انه تبرأ من « النظرات » وان نفد المطبوع منها لأنه غير رأيه في بعض من أثنى عليهم فيها إذ كان يحسن الظن فيهم ويعدهم من الأخيار ثم تبين له أنهم ثعالب...

ثم اتبع المؤلف تلك النظرات بكتاب « ذكرى الأمير شكيب أرسلان » عام ١٩٤٧ وقد اشتمل على سيرة هذا المجاهد القديم الذى يعتز الطاهر بصداقته، وفيه اكثر ما قيل فى تأبينه ومراثيه التى قيلت فى الشرق والغرب، والاستاذ الطاهر يدعو اليوم لتجديد هذه الذكرى بتخليد الفقيد فى كتبه وآثاره.

وفى آخر سنه ١٩٤٨ ظهرت للمجاهد الطاهر «أوراق مجموعة» وصف فيها حال فلسطين قبيل رحيل المحتلين، وكيف كان اهلها يستبسلون فى الذود عنها حتى شردهم الغدر والطغيان.

وعلى مرور الأيام عاود الطاهر الحنين الى إعادة « الشورى» لكن الحكومة لم تسمح له بتحقيق هذه الامنية، فلم يجد بدأ من تسريح قلمه في صحف مصر والعالم العربى والمهاجر التي عرفت جهاده للعروبة والحرية ولا يكاد يمضى اسبوع حتى تقرأ له مقالاً يتعلق بالحوادث الوطنية أو يبصر بالأمور العابرة والشخصيات السياسية الخطيرة، فاذا كتب الطاهر عن قطر عربى جال فى مقاله جولة السابرين فى اعماق القضايا والمشكلات، وما هذا إلا لأنه يعيش فى صميم الحياة العربية متتبعاً وجهة نهضتها، ولم يتفق هذا الأمر إلا لهذا المجاهد الكبير الجدير بلقب المواطن العربى حيثما وجد.

لقد استوطن الطاهر مصر منذ صباه فأحبها وفداها وكافح فيها لحريتها وحرية البلاد العربية فكان له أثر فى الحركة الوطنية وتعبئة الشعور القومى والوعى الفكرى، بل إنه يعد اليوم ممن مهدوا للثورة وجاهدوا من أجلها، وحسبه ما لقيه من الظلم والاساءة فى العهد السابق، وان مصر اليوم بشوق الى الرجل الذى وهب لها عمره واخلاصه مرتقبة عودة « الشورى » بعودته، فهو يعيش بعيداً عنها أهله فيها لهيفاً مشوقاً، فاذا تحدث عن ثورتها ووثبتها كان شديد الغبطة والاعجاب بما أدى رجالها من وطنية وبطولة، وبجوال الطاهر فى البلاد العربية للتعاطف بينها، وبعث المقومات والذكريات لتوثيق الروابط فيه دعامة لهذه الثورة التى يؤديها بقلمه فيكتب المقالات والتعليقات فيما يوضح اهدافها ومجهودها، وذلك فى صحف سورية ولبنان والمهجر.

وأى مؤرخ للصحافة العربية والجهاد الوطنى القديم والحديث لابد أن يذكر الدور الذى قامت به « دار الشورى » بمصر اذ كانت هذه الدار أول سفارة عربية حرة لم تعرف قيود الدبلوماسية ولا مجاملة التمثيل، تتلقى بالحفاوة والتكريم كل عربى يؤم القاهرة على اختلاف الديار وبعدها، فيجد اخوانه ومن يشوقه التعرف اليهم من رواد النضال واعلام الفكر والادب، حتى لو أن زائرين احدهما من شرق العرب والآخر من غربها هبطا مصر على غير ميعاد، فانهما يلتقيان حتماً بدار الشورى على خير ما ترجو العروبة والثقافة والمودة.

وحين يكتب التاريخ العربى الجديد حوادث التطور والانبعاث سيكون لهذا المجاهد الكبير الذى نذر حياته للحرية، دون أن يبتغى جزاء أو منالة، ذكر خالد على الأيام فى صفحات هذا التاريخ العتيد.

* * *

- ٩ -

الأمير مصطفى الشهابي

عالم وإديب

على سفوح « قاسيون » جبل دمشق الاشم، حيث يرف النسيم ويشرف على الغوطة الخضراء، قام بيت منيف كنا نأتيه حينا بعد حين فنجده محرابا للفكر والمعرفة، وما من عالم يزور دمشق الا كان عنده احد المعالم المنشودة التي ينبغي ان لا يفوته الالمام بها.

لم يكن ذلك البيت صومعة راهب متعبد او برجا من عاج اعتزل صاحبه الناس وعكف على التأمل والتزهد، وانما كان دارة علم وادب مجتلى للطبيعة والحياة يشع نورا على دمشق كما تشع الشمس التي تملأ « قاسيون » وتنحدر الى ضفاف بردى حتى تعم الغوطة ومغانيها.

في هذه الدارة الضاحية اقام الامير مصطفى الشهابي عاكفا في بحث وتأليف او على نقد وتحقيق، فما زرناه كدأبنا الارأينا بين يديه أوراقا يحبرها او كتبا يطالعها، او محاضرة يعدها لندوة ثقافية او مجلة علمية كبرى.

ولئن عرف هذا الامير بالشمم واصالة النسب الذى يصله بجدوده الشهابيين القرشيين امراء لبنان وحكام بقاع في الشام، فان تواضع العالم الخبير ولباقة الدبلوماسى المطبوع يتجليان فى حديثه ومجلسه، ولا يستطيع عارفه او زائره الاان يؤخذ بثقافته المتعددة الجوانب، وحكمته فيما يعالج من قضايا وطنية واجتماعية، وقد يخيل الى من يلقاه على سمته واريحيته انه من الموسرين، والواقع انه يزدرى المال ويؤثر الكرامة والخير العام، ويعجب لمن يضيع العمر والذمام فى سبيل الثراء.

لقد جمع الامير مصطفى بين الثقافتين العربية والغربية جمع احاطة وتمكن، وحمل من فرنسة شهاداتها الجامعية فى الهندسة الزراعية التى احبها منذ صباه، وفى استنبول حيث تلقى ثقافتها التركية كانت تهتاجه الوطنية التى تنسمها فى نشأته وحماه، وخفقت معانيها فى حسه ومراده، فيا وقفات للفتى الامير على ضفاف البوسفور كان يتنور فيها اخبار مصر والشام ويهتز لشعر قاله حافظ وشوقى فى ذكر الكنانة ودارات امية، فيزداد حماسة وحنينا الى موعد التحرر والخلاص من نير الاستبداد والاستعمار.

ولم يكن ذلك بدعاً فى وطنيته الاصلية، فقد ثار اخوه الامير عارف الشهابي على الحكم التركى الغاشم مع الشهداء الاوائل الذين طوى جسومهم ظلم جمال السفاح، لكن ارواحهم بقيت حوامة على الحمى مدومة فى آفاق العرب، تبعث الحمية والحرية فى الجيل بعد الجيل، وما كاد الامير مصطفى الشهابي ينهض

بالمناصب الكبرى حتى اثمر علمه وازدهر أدبه، ولمس القوم آثاره فى الانشاء والاصلاح، ومن ثم اخذ ينشر المؤلفات الزراعية التى تمرس بعلمها، وكان استقصاؤه لكل جديد او قديم فيه موضع العجب والاعجاب لدى متتبعى تآليفه التى امتازت بمناهجها وصحة مصطلحاتها وسداد حجتها وغايتها، حتى شهد له اساطين هذا العلم بالمعرفة الشاملة فيه، وعدوه اكبر عالم زراعى فى الشرق العربى، وكان لزاما عليه فى نقل علوم الزراعة الحديثة الى العربية ان يتحرى اصلح الالفاظ فى معالجتها وفى كتب النبات والحيوان والزراعة القديمة، اما النبتات التى كان العرب يجهلونها فقد ابتكر لها الامير اسماء عربية وذلك بالرجوع الى اصول الاسماء العلمية الدالة على هذه النباتات وترجمة تلك الاسماء بمعانيها الاصلية او تعريبها اذا كانت تدل على اعلام، وبذلك اغنى الفصحى بمئات من الالفاظ التى ابتكرها، ونشر كثيرا منها فى « المقتطف » ومجلة « المجمع العلمي » بدمشق، ثم ضمها إلى معجمه العظيم الذى كان حدثا جديدا فى دنيا هذا العلم الذى ينبغى للبلاد العربية ان توليه عنايتها الاولى، لان الارض التى كان اندريه جيد يقدس فيها اغذيتها ويستنبط منها ينابيع العبقرية الانسانية هى التى تحنو على الانسان حنو المرضعة على الفطيم، وبقدر ما يؤدى اليها من حفاوة ورعاية يتلقى المرء منها وفاء وخيرا، فاذا كان العلامة الشهابي قد سلخ الشباب والكهولة فى سبيل هذه الارض، يدرس ويبحث من اجلها، ويجهد ويحقق فى سبيلها، فانما كان طبيبا وحبيبا الى الارض التى هى امنا الاولى، واليه ترجع فكرة العناية بالفلاح الذى ارتبط بالارض كادحا

ومنحها عمره وكده، فقد سعى الى بيعه من املاك الدولة حين كان مديرا عاما لها، على ان يؤدى الثمن نجوما ودفعات، وبذلك تتكون الملكية الزراعية الصغيرة.

وقد ترك الامير مصطفى الشهابي فى اكثر المناصب التى تقلدها آثاراً لا يمحوها الزمان، منها انشاء دار الكتب فى اللاذقية ورعاية دار الكتب فى حلب اذ كان واليا ومحافظا مرتين فى كل من المدينتين، ولا يزال يرفدهما باهتمامه، وقد أولى العربية عنايته فى الديوان ومرافق الناس، فاتخذ قرارا بان تكون عناوين المتاجر والمصانع بالعربية الصحيحة، واذا شاء احد ذويها ان يكون الاعلان او العنوان بلغة أجنبية اقتضى ان يكون هذا تحت العربية أو على شمالها وبحروف اصغر من حروف اللغة الرسمية، وشاعت هذه الامنية الشهابية وتحققت فى المحافظات السورية الى جنب الافلام السنمائية الاجنبية التى كانت تقتصر على لغتها فى العرض والاداء، وذلك منذ بضعة عشر عاما.

وراجت السياسة فى سورية رواجاً عجيبا، فلم يبتغ الامير اليها سبيلا ولا ارتقب السوانح المواتية، لانه كان وطنيا نزيها، ولم يكن وصوليا او انتهازيا، على شاكلة كثير ممن احترفوا السياسة واصطنعوها للمال والظهور، وقدتأبى على الوزارة حتى اعترف الفرنسيون بالغاء الانتداب وحق السوريين فى الاستقلال، على ان هذه الوطنية فى الامير الشهابي ليست مرتجلة او عابرة، فقد نجمت فى اصوله وشب عليها، وقد ثار اخوه على الطغيان والعدوان حتى

راح شهيدا، اما الامير مصطفى فقد عمل سرا وعلانية على تحقيق الحرية والجلاء، لكنه يؤثر العمل الصامت والرأى قبل الشجاعة فى ممارسة شؤون الدولة، لا سيما فى الملمات والصدمات، وكأنه ربان حاذق بتفادى الاعاصير حتى يصفو الجو ويهدأ الموج، وعندئذ يصل بالامانة الوطنية الى شاطئ السلامة. ومهما دارت الضجة وتقول المتقولون فلا يعبأ هذا الربان الابالدقة التى احكم قيادتها، وليست وجهته الا مصلحة الشعب ومجد الوطن، وقد ازدادت على الثقة والمرانة تجارب الامير ومعرفته بقضايا الشرق والغرب وما يجول فى آفاق الدول والساسة من مداورات ووجهات، وقيضت له درايته ان يدرس تاريخ الاستعمار واساليب المستعمرين ويبحث الوعى العربى واليقظة الحديثة فى التحرير والاستقلال، فألف كتابا قيما فى هذا الموضوع كان من اوثق المصادر والمظان للمشكلة العربية وعلاقة الشرق بالغرب.

لقد بدت فى بعض افذاذ المعاصرين بمصر والشام ظاهرة فى شمول الفكر والمعرفة وتعدد المواهب والمزايا تردنا الى سيرة فئة قليلة من علمائنا الاقدمين كابن سينا وابن خلدون والجاحظ والدينورى وامثالهم ممن كانوا موسوعيين فى ثقافتهم، وقد أتاهم الله عبقرية اتسعت لالوان من العلم والادب، وكان الامير مصطفى الشهابي من هؤلاء المعاصرين الذين تعددت فيهم الميزات وواتاهم الفكر والمزاج، الى مراسهم ثقافة اختصوا بها، فهو الى علمه الاولى لغوى محقق واقف على اسرار الضاد، ونحات لفظى مبتكر لالوف من

الكلمات الزراعية والحيوانية، لا يفتر عن البحث ولاتمحيص والنقد في مجلة المجمع العلمي بدمشق، كما ان له تتبعا مرموقا في مجمع فؤاد الاول، اذا انه عضو مراسل فيه كما هو عضو عامل في المجمع بسورية.

اما ادب الامير فضرب من الترسل والجزالة، يتسم بطابع الدقة والتعمق، ويشف عن موهبة اصيلة، وقد اودع موضوعاته المتنوعة صدى خواطره وفلسفته في النفس والمجتمع. والامير الشهابي مجدد في اسلوبه وتنسيقه، متتبع للحصاد الفكري والادبي في الشرق والغرب، ولم يخل ادبه من الشعر الذي قاله على سجيته وطبعه، لكنه على روعته ورونقه مقل فيه، ولو جمعت آثاره التي نشر أكثرها في صحف مصر والشام وحالت مشاغله دون اعدادها للمطبعة لجاءة في عدة كتب.

ان عهد الأمير مصطفى بالدبلوماسية يرجع إلى تمرسه بالمناصب العليا، ثم بالوزارة، وقد كانت لباقته وحكمته ملموستين في كل مهمة قام بها، حتى عهدت اليه الجمهورية السورية بان يكون وزيرها المفوض بمصر التي احبها واحبته وعرفها وعرفته منذ ربع قرن عالما ثبتا واديبا موهوبا يحاضر في ارقى ندواتها، وينشر في كبريات صحفها، داعيا الى خير العروبة ولغتها، وحين جاء مصر وزيرا لبلاده استبشرت الكنانة بالوجه الذي عرفته من قبل سفيراً فكريا قبل ان يأتيها سفيرا دبلوماسيا، وهو اليوم في هذا التمثيل خير

من يوثق، الروابط القديمة والحديثة بين مصر وسورية، اذا ان العلماء والمفكرين اذا جمعوا الحكمة والكياسة فى الحكم والسياسة كانوا اهدى سبيلا وادنى الى تحقيق الخير والوئام، ولو احصينا سيرة المصلحين فى تاريخ الامم لوجدنا اكثرهم كانوا من ذوى الفكر والرأى، وما ضل الناس الاحين ولى امورهم من لم يتقوا الله ولم يقيموا للحقيقة والمعرفة وزنا. فاذا تحدثت الى قراء « الثقافة » بهذا الفصل عن الامير مصطفى الشهابي مستفتحة بذكره فيما اعددت من فصول عن طائفة من اعلام العلم والفكر والاصلاح بمصر والبلاد العربية، فانما اصور مطلع كوكب سورى اخذ اليوم يتلألأ فى سماء الكنانة بين كواكبها التى يمتلىء بها نهر المجرة منعكسة اضواؤه على وجه النيل.

* * *

- ١٠ -

عادل الغضبان

مثلما تبقى الذكريات بأعمارها المديدة وآثارها الراسخةعلى ترادف الأيام، وقد مرت على النيل بأحداث وشخوص وتاريخ ووقائع، كذلك تبقى ذكريات الفن والأدب حية قوية، وهى تطل على النيل كأنها تتراءى فى مرآته الصافية، ولو كان للنيل سجل ادبى حديث، كما صنع له فى القديم صاحب النجوم الزاهرة، لبرزت للعيان والأذهان صفحات والواح تتحدث بسيرة كل عربى فذ، أدى رسالته من على ضفاف النيل وشرب من مائه حتى ارتوى، وآثر القرار فى ربوعه مجاهداً وطنياً، او مفكراً حراً، يدعو للخير العام، ويشارك فى بناء النهضة الجديدة.

من هؤلاء الأفذاذ الذين أحبوا النيل ووهبوا حياتهم لبلاده وللعروبة التى تجمعها، الأستاذ عادل الغضبان، فقد جاء مصر من شهباء سيف الدولة فتى غض الاهاب، متوقد الفكر والآمال، يرمى بنظره شطر الافق حيث يجد حمى العربية، وبسطه الثقافة والمعيشة للطامح الأبى، الذى ضاق بأمله ويأهله موطن تتنازعه الملمات

وتتجاذبه التيارات التى لابست يقظته، وهبت للتحرر والقضاء على كل عابث بحقه، فى الحياة الحرة الكريمة.

ولم يطل شوق الغضبان الى الكنانة، التى احبها طفلاً وناشئاً، قبل ان يراها وقد سبقه اليها أهل وانداد، مارسوا الصحافة والوظيفة والنجارة شأن الشاميين المتمصرين، الذين نزحوا الى وادى النيل، منذ الحكم العثمانى، وبداية الاحتلال الأجنبى، فانحدر عادل من الشمال الى الجنوب، على دوى الصيحات التى كانت تنبعث فى ارجاء العرب، وكان اكثرها ينطلق من القاهرة التى شده اليها شوق وطموح.

كان بين جنبيه خافق يلهمه الخير والدأب والنبوغ، وكأنَّ قبساً من المتنبى الذى عاش فى حلب قد أضاء له الطريق وزين الغد القريب، فأقبل على مصر لهيفاً مشوقاً فى ريعان العمر يلتمس بناء علمه ومجده، لا ليلتمس سيادة ضيعة او ولاية بلدة كما شاء المتنبى الذى صده كافور وخيب تأميله ومطامعه، لكن الفتى المهاجر الذى انطلق من ملعب طفولته ودار حداثته طالبا للعلم، تفتح قلبه على حب مصر والعيش فى رحابها ورضى فى حماها بما قسم القدر، وقد أوتى غنى النفس وسعة الرجاء والذكاء، فاتخذ التدريس وسيلة للحياة والمجتمع، يهب فيها من شبابه وادبه، ومن لباقته ومعرفته للجيل الذى اتصل به بعد تخرجه من اكبر معهد للآباء اليسوعيين فى القاهرة، وتلقيه فنون الكلام وقواعد البلاغة والبحث على الثقات من المتبحرين. على ان المتمرس بالتدريس إذا كان

موهوباً دؤوباً كان تأثيره فى تلاميذه والواثقين به ابعد من تأثير المحترف المتخفف، فهو ذو رسالة. يشبه العندليب حين يغرد، لأن التغريد منحة الهية لهذا الهزار، وانفعال فطرى يحسه الناس فناً رفيعاً.

وما كان لاديب مطبوع ان يقنع بما اتبع من ثقافة مرسومة ومنهاج محتوم، فعكف الغضبان على كل ما يحقق التبعات التى حملها راضياً، فقرأ كثيراً ومحص طويلاً حتى أحكم الوسيلة بينه وبين طلابه الذين بادلهم وداً بود لقنهم خفايا المعرفة وفتح قلوبهم لوعى الوجود لعلهم يأخذون احسن ما فيه، لقد علمهم ان يأخذوا بالحق والمحبة وان يعطوا بسماح ورضى، وان يعملوا لدنياهم نافعين لانفسهم وللمجتمع الذى يعيشون فيه وللانسانية التى ترتقب غدهم المأمول بعد ان رأت يومهم الوثاب.

كان عادل الغضبان وهو يؤدى رسالة التدريس يعطى من علمه وأدبه بجود وسداد، ويرمى ببصره شطر الافق البعيد، غير منكر لحاله ولا متبرم بعمله، وان كان فى نفسه مرجل الامل والعزم يغلى ويفور ليجد منفذاً في يوم قريب، فاذا ارتد الى كتبه وأوراقه نسى نفسه وانساب تفكيره وشعوره فى صورها وسطورها، وطافت بخياله اطياف ذويها، فأمسك بقلمه معلقاً او محققاً، وطاوعه القلم الملهم فعبرّ فيها عن نفسه التى اشرق الحب فيها وتغذت بالمثل العليا، وتوالت قراءة الغضبان فى الادب القديم والحديث باللغتين العربية والفرنسية قراءة متعمقة ممحصة حتى احاط علماً باللغتين والادبين وهو المطبوع على الشعر قاله صغيراً قبل ان يعرف قيود الفنية وتقاليده

الاصيلة فلما قرأ ما في دواوين القديم والجديد وازداد تجاوبه مع الطبيعة والحياة، تابع الغضبان القريض غير متعجل للظهور ولا مستغل للصحافة التي كثيراً ما طمست الحقائق وأظهرت الزيف والباطل.

ولم يكن الشاعر الاديب عادل الغضبان بدعاً في المدرسين، فقد استهل كثير من الادباء في الشرق والغرب حياتهم الفكرية بالدرس والتدريس، فكانت الصفحات الاولى التي تلقتهم ليخطوا بوادرهم المتفتحة وبواكيرهم النضرة، هي صفحات اولئك الصغار اطفالاً وشباباً من الجنسين، كتبوا فيها الاعمار والاقدار وكانوا أشبه بانصاف آلهة اعطتهم القدرة الكبرى على الخلق والابداع وتكوين النفوس الانسانية واعدادها للحياة الطيبة النافعة، فلما عادوا الى الكتب يخطون عى طروسها وبين سطورها افكارهم وخواطرهم عمموا رسالتهم لتشمل الناس جميعاً، وما رضيت نفوسهم الكبيرة بنطاق محدد او مراد قريب.

وهكذا صنع الغضبان بعد سنين من زهوة عمره ودأب ثقافته وتجاربه في التربية والتعليم، كان في خلالها يعد نفسه لرسالة الاديب الكبير فانطلق من أفق المدرسة الى جو الصحافة مسرحاً قلمه في تصوير الاحداث الدولية والسياسية، وفي ترجمة الشؤون القضائية، موظفاً في المحاكم الاجنبية حتى زهد في هذه الكلفة وضاق بأمورها فانصرف الى الصحافة الفكرية التي كانت بمصر والبلاد العربية توقظ الوعي القومي، وتعمل على بعث الامجاد ودعوة الشعوب للتحرر والأخذ بأسباب الرقي والحضارة لتحقيق حياة احسن ومجتمع أفضل.

ولقد فهم عادل الغضبان رسالة الصحافة على النحو الذى فهمها عليه الافذاذ والمصلحون الذين كانت اقلامهم وصحفهم مدارس للجمهور. اما الصحافة المصرية فى ذلك الحين فكانت بين فئة مع الحكم الغاشم تساير وتداور، وبين فئة من اقطاب المفكرين والاحرار يثيرون القضايا الوطنية ويجبهون كل كيد وعدوان، فكان جهادهم مبعث وعى جديد ويقظة تحررية تجاوب صداها فى مصر والبلاد العربية حتى اقبل على الصحافة وعزز رسالتها فريق من كبار الادباء المصريين فى طليعتهم العقاد والمازنى والبشرى وهيكل وجمعة ومظهر وطه حسين وغيرهم ممن رفعوا قدر الصحافة الى مصاف الكتابة وادخلوا عليها رياحين الفن والتجديد فجمعت بين ثقافة الفكر والنقد، وبين معالجة الشؤون السياسية والاجتماعية، ولا يزال الحنين الى الصحافة يعاود من بقى حياً من هؤلاء الاعلام ويخفق بين جوانحه. واننا ما نزال نحس نفحات اقلامهم وسمو تفكيرهم وآرائهم فى مقالات يكتبونها للصحافة بين الحين والحين.

اما عادل الغضبان الذى جرى قلمه فى الصحافة بانياً موجهاً فكان يعمل فى صمت وتواضع كأحد الجند المجهولين ممن تكتسب المعارك بجهودهم ويحظى القادة بأوسمة النصر جزاء ورمزاً، لقد بقى يجهد فى هذا الميدان ويكابد البلاء والعناء مرتقباً ان يتاح له فى يوم قابل ان يقود الكتيبة، لكن حب الادب كان اكبر من صبره وأقوى من كل اغراء فغلب عليه وجعله يمسك بالصحافة وقلبه متعلق بسحر البيان وابداع الفن. ولم يلبث ان تحول عنها وما يدور

فى فلكها من تزاحم وتهاتر وما يتقاسمها من تيارات حزبية وظروف طارئة او طوابع لا تتغير ولا تزايلها المحاكاة والمجاملة، على ان اى باحث لا يستطيع ان يمسك بالاسباب النفسية الخفية التى قد يجهلها صاحبها، فلا نعلم نقطة الانطلاق فى عادل الغضبان من الصحافة وتكاليفها الى مجال الادب الذى تبحبح فيه وبنى نفسه، ولو سألوه ذاته لفكر طويلاً، وربما لم يهتد الى العلة الاولى.

لقد انفلت على حين غرة من زحمة السياسة والطبقية وضجة الحزبية التى طغت فى مصر يومذاك على الصحافة الى عالم يسوده الفكر الحر والثقافة الرفيعة ويعين على تصوير الحوادث النفسية والحياة العقلية التى تعبر عن مدى التطور الذى خضعنا له ولم نجد بداً من مسايرته لنلحق بركب الذين تقدمونا علماً وفناً.

وكانت مصر فى هذه الآونة من تلاقى الشرق بالغرب قد تغير تفكيرها وشعورها وتفتحت بعد عهد المنفلوطي على تجديد العقاد والمازني وأدب طه حسين والحكيم، فشهد الغضبان معركة القديم والحديث واحتكاك الآراء البالية بالمتطرفة، وبقي متتبعاً لتطور الفكر والثقافة بين عهدين وجيلين، حتى رأى مولد الادب الحديث، ومضى فى رعيله مع المجيدين والمجددين حافظاً للقديم حرمته وقيمتة، متبرماً بسخف الحديث الذى انكرته اللغة وتجافى عنه الفن والاستعداد، وكأن الزمن الذى عاش فيه عادل الغضبان بين الحربين العالميتين كان موسماً لنضج تفكيره واشراق تعبيره واتساع ثقافته

وخبرته. ومن حظه فى الادب ان الطريق قد مهدت امامه فلم تضع جهوده السابقة ولا راحت مع الريح آثاره التى اودعها هواجسه وتأملاته ولونها باحساسه وخياله، وكانت منوعة الاشكال والصور، فمن بواكير ادبه كانت مسرحية « احمس الاول » وهى تمثيلية فرعونية استوحاها من تاريخ مصر القديم واستحق باجادتها جائزة وزارة الشؤون الاجتماعية قبل الثورة. ولا غرو اذا جود الغضبان الكتابة فى الحوادث الفرعونية التى هى بمصر منبع الحضارة والفن، ومن يقرأ المسرحية او يشهد تمثيلها يدرك فهم الغضبان لروح التاريخ المصرى كما يفهمه ابناء النيل. وهذا الوعى العميق الذى ينبت من الارض طلع ورسخ فى سجايا الغضبان واخلاصه للفن حتى مزج نفسه بمصر والمصريين وصار واحداً منهم. ومن يستمع للهجته المصرية ويتتبع حياته الفكرية والاجتماعية يعده مثلاً فى الوفاء والولاء للوطن الاكبر الذى تفتح له صدره وتلقاه بالود فتأثر آفاقه وانسابت فيها آثاره وطوف خياله واندمج فى حياة اهله وهموم تحررهم من كل ما يعوق وعيهم ونهضتهم. ولئن تمصر الغضبان واعتز بمصريته اعتزازه بعروبته، فانه فى رسالته الأمينة الرصينة من اوائل الدعاةللامة الواحدة والمثابرين على الدعرة وان عددت السياسة ومطامع الاستعمار البلاد والاسماء وجددت القيود والحدود.

وشعر الغضبان، منذ قال الشعر، متسم بطابع الوطنية والاحداث القومية والاجتماعية، فما من خطب ألمّ بمصر او دهم بلداً من البلاد العربية الاكان شعر الغضبان صدى لذلك الخطب وصورة

لحوادثه والاضطراب من اجله. وله في السوانح التي قامت بمصر للانشاء والتجديد والاصلاح قصائد في حفولها وندواتها تصور الوثبة في الامة المتحفزة والغبطة في حريتها وخطاها.

اما الجانب الوجداني في شعر الغضبان، فهو متمثل في صوره العاطفية التي تناولت الغزل العف والوصف الدقيق والمطارحات الاخوية، وغيرها مما جودت قريحته الخصبة وبشاشته للحياة، وطريقة الشاعر في تعبيره تصل شعرنا الحديث بسوابقه الاصلية المتينة التي حفظت تراث الفصحى وروعة الفن والاداء،. وسحبت حتى عصر شوقي سلسلة الكلام المنظوم في أدب العرب.

ولو تفرغ الاستاذ عادل للدراسة الادبية في منهاجها العلمي الحديث لتعددت مؤلفاته فيها، فقد اعطى مثالاً يحتذى في كتابه « نجيب الحداد » جاء مستوفياً للوسائل الجامعة، معنياً بالاسباب والآثار التي صنعت « الحداد » وكونت عبقريته ووجهت مزاياه. وفي الفن القصصي كان للغضبان « ليلى العفيفة » التي دلت على طبعه واتقانه ومشاركته في هذا الفن الرفيع، كما ترجم عن الفرنسية روائع في الرواية والسيرة منها سجين زندا والزنبقة السوداء ودون كيشوت وغيرها.

وادباء العرب في كل ارض يذكرون باللهفة والحنين. مجلات جليلة القدر بعيدة الاثر ظهرت في مصر بعد « المقتطف »و «الهلال» وتلقاها الناس على ظمأ وشوق وتوقير، فكانت « الرسالة »

و « الثقافة » مدرستين جوالتين لاقلام الشيوخ المؤسسين والشباب الموهوبين، ثم برزت لعالم الادب مجلة « الكاتب المصرى » ثم «الكتاب» التى انشأتها دار المعارف بمصر منذ اثنى عشر عاماً، وعهدت بالاشراف على تحريرها، للاستاذ عادل الغضبان. وقد كانت « الكتاب » مع المجلات السابقة سفارات فكرية وروحية فى مصر والبلاد العربية تعارفت على صفحاتها اقلام وأعلام، وتلاقت مواهب وفنون وجال فيها ميزان النقد والتقويم، وقد اعطت للقراء نماذج من ادب الشرق والغرب. على ان « الكتاب » بقيت تؤدى رسالتها بعد احتجاب رفيقاتها حتى وقفت، فكان لوقوفها ضجة كبرى فى العالم العربى دلت على محنة الادب فى غياب هذه المجلات التى كانت مرايا وصوراً لحياتنا الفكرية والفنية، ومدارس خرجت المواهب والاقلام فى النقد والادب، وأدت للعروبة والتاريخ الحديث فضلاً لا ينسى. وحين خلت الساحة بمصر من المجلات الجدية التى تعنى بحياة الفكر وتطور الادب، ظهرت الصحف الخفيفة التى تسلى القارئ وتستهوى المراهق الحالم بموضوعات طريفة ظريفة سمها اكثر من دسمها، لكن الرجاء والعزاء فى هذه الكتب والمنشورات التى لم ينقطع تأليفها وتثقيفها لتدل على اشعاع مصر فى الفكر والفن والتحرير وحرصها على مكانتها العلمية فى العالم العربى.

ولما احتجبت « الكتاب » ثقلت اعباء الاستاذ عادل الغضبان، فقد اصبح يشرف على المحصول الفكرى والثقافى الذى تتعهده بالعناية والاتقان اكبر دار للنشر فى مصر والبلاد العربية هى دار

المعارف التى اسسها بمصر منذ سبعين عاماً الاستاذ نجيب مترى، وانه لاحد بناة النشر والطباعة فى وادى النيل .

وبعده فهذه خطرات متخطفة من سيرة اديب عربى كبير يرعى الادب المعاصر ويعمل على اظهاره لمصر والبلاد العربية بجد وحكمة واخلاص، غير طامع بنفوذ او ثواب إلا رضى الضمير والرسالة التى نذر عمره لتأديتها للعروبة والوطن، وكم تراه الحقيقة والمعرفة جديراً بالتمجيد والتأييد، حين ننظر الى من يرزقون باسم الجهاد، ويحظون بأرفع المراتب وهم اصفار من الكفايات العلمية والخلقية. ولكم تحسن مجامع اللغة والادب فى مصر والبلاد العربية حين تقدر للغضبان قدره فتضمه الى اعضائها عاملاً او مراسلاً، وتفيد من نقاء لغته وسعة ثقافته ومواهبه. اما شمائله ومزاياه، فخلاف لقبه الغضوب، فما تلقاه إلا رضى النفس وادع الطلعة طلق الملامح، لم يزايله الشباب وهوى الطبيعة والجمال فيها، وهو معها تلقاء الضفاف الوارفة وما يترامى عليه النظر من افواف النخيل وراء النيل.

ولو سألت الناس عن إساءة للغضبان لما برز منهم من يقاضيه او يمسك بتلابيبه، وكم فى عالم الادب والادباء من اقلام تنفث الكيد والشر، ونفوس كدرة لا يصفيها وجدان ولا برهان. اما قلم الغضبان فعادل عف كاسمه، وأما نفسه فأصفى من الماء، وما كان غضبه إلا لتأييد الحق، واشاعة الصدق، وحماية المثل العليا الانسانية.

* * *

- ١١ -

محب الدين الخطيب
من أعلام الاسلام فى هذا العصر
١٨٨٦ - ١٩٦٩

كان مولد الخطيب: محب الدين بن محمد أبي الفتح في دمشق وفى الربع الأخير من القرن الماضى، وقد عاش هذا المحب لأمته مجاهدا اعداءها ساعيا الى تحريرها من الجهل والفساد والمظالم المتعاقبة بقلمه وايمانه وعلمه، ولم يكن الخطيب محبا لدينه فحسب بل محبا للغته وتراثها وآثارها، داعيا للمحافظة عليها من عبث المفسدين بالعامية والمضللين بأن الفصحى صعبة فى قواعدها والتعبير فيها، كما كان معتزا بالتراث عاملا على نشره وظهوره ولكم حقق وعلق على مخطوط بعد مخطوط حتى توفاه الله.

وقد تلقى الخطيب: محب الدين تعليمه الاول فى دمشق وكان من معلميه شيوخ الدين واللغة والتاريخ: جمال الدين القاسمى، وطاهر الجزائرى، وعبد الرزاق البيطار ولم تكن تفوته ندوة من ندوات هؤلاء المصلحين المخلصين مستمعا لمطارحاتهم مشاركا فى بعض

الموضوعات التي يهمه أمرها ويخوض الناس فيها بسر وحذر، فيلقى التشجيع والتقدير على ان ما كان يؤسفه ويشغل باله هو قصة « تتريك العرب » لتفتيت قوميتهم وتمزيق وحدتهم حتى ان المستبدين أحلوا لغتهم محلها وجعلوا معلم العربية تركيا ولم يسلم من هذا البلاء إلا المدارس التبشيرية والطائفية والأهلية وحلقات الدين في المساجد، فكان محب الدين يتدارس هذا الامر الخطير مع لداته واقرانه الذين اسسوا جمعية « النهضة العربية » لتكون ملتقى لمن يريدون أن تنبعث لغتهم وقوميتهم وان تعود الى مجدها ومكانتها.

ولما مضى محب الدين الى عاصمة الخلافة لدراسة الحقوق اتيح له ان يلقى انداده من الغيارى على العربية الثائرين على الفساد والاستبداد التواقين الى الحرية والكرامة الوطنية، حتى انهم تعاهدوا على أن يتكلموا الفصحى فيما بينهم واذا عادوا الى الوطن تطوعوا لتعليم العربية في المدارس التي يرحب أهلها بفكرتهم، على أن تعليم العربية كان الهم الاول لمحب الدين الخطيب غير ان الرقابة اشتدت عليه فضاق بحياته وانطلق الى الجزيرة العربية بادئا بصنعاء اليمن ليعمل فى مدارسها او فى النقل من التركية الى العربية، ولما شاع ان الضغط التركي سيخف باعلان الدستور عام ١٩٠٨ واستبشر هو خيرا بهذا رجع الى وطنه ومنه الى عاصمة الخلافة ليستجلي الأسرار والاخبار ويبدو أنه لم يكن مطمئنا فمضى الى القاهرة ليقيم فيها وينضم الى امثاله أحرار الفكر وأخذ يمارس الصحافة فى كبريات الصحف حتى عهد اليه لقاء بعض الأمراء العرب فعاد الى الرحيل والتجوال قبل الحرب العالمية الأولى فلقى المتاعب والمصاعب فى هذا

الشأن، ولما أعلنت الثورة العربية الكبرى وقع عليه الاختيار ليكون مع الدعاة لها والمبشرين بها فى مكة المكرمة فسارع الى القيام بهذه المهمة الشاقة وهذه التبعة الخطيرة وأصدر الحكم التركى فى غيابه حكما باعدامه، ولما أحس خدعة الاستعمار لاحتلال بلاده وتقاسمها فى أواخر الحرب عاد الى دمشق، وحينما انسحب الجيش التركى منها عاد اليها ولم يبق طويلا فان الانتداب الفرنسى قد اقتحم وطنه فرأى أن يعود الى القاهرة ويستقر فيها وأخذ يعمل فى الصحافة حينا، ولا بد من العودة الى ما لقى فى طريقه اليها مع تجار الابل فى الصحراء فقد خشى الرحيل علانية وكانت الطريق طويلة فلقى الهول والويل حتى قيل له: هذه أرض حطين فعاد بالخيال والخاطر الى معركتها المشهورة.

وخلع نعله وقبل تراب تلك الأرض ولما مر ببحيرة طبرية وقف متأملا وهو يرنو الى صفحات مياههامن ظلام أولئك الابطال الذين خاضوا معركة حطين باقدام الفدائيين، هل تنطبع على مياه طبرية صور هؤلاء الأبطال؟ وقد عادت الى خاطره صورة البطل صلاح الدين الذى تصدى للمعتدين وردهم على أعقابهم خاسرين خائبين، ثم القى هذا البطل نظرات على ما كان يحيط بالامة من أسباب الضعف والخلاف والتفرقة وأيقظ فيها الوعى والعزم والنخوة والايمان ليرجع بها الى الله بعد أن كادت تنساه.

ولم يترك الخطيب هذه الرحلة دون تصويرها والتعبير عنها بشعوره وتفكيره فى كتاب.

ولما استقر فى القاهرة اسس المكتبة السلفية والمطبعة السلفية عاملا على خدمة العروبة والاسلام، على ان القارئ المتتبع لما جاء فى مجلتيه: **الزهراء والفتح** يتبين جهاده الطويل فى نشر الوعى والتبصير لامته بما كان يحيط بها من شر ومنكر وقد شاركه فى موضوعات المجلتين نفر من كبار الكتاب والمفكرين والشعراء فى طليعتهم أحمد تيمور والراجكوتي والكرملي وأحمد شوقي وغيرهم وقد أمتلات المجلتان بالتنويه والاشارة بمآثر العرب وتاريخ بلادهم وما تركوا من آثار ومآثر باقية على ترادف العصور.

ولا ينسى المتتبع للحركات التحريرية والاصلاحية هذا كله وكيف كان محب الدين الخطيب يقاوم فى اثناء ذلك كل من اراد انحرافا بالعروبة والاسلام، ويكشف مرامى الدعاة للعامية والمتحاملين على الدين وتعاليمه ويعتز بعبقرية اللغة وخلود العروبة داعيا الى الاستمساك بتراث الضاد الذى يدل على اهلها.

ولكم رأيناه فى ليله ونهاره عاكفا فى مكتبته تحت داره على أوراق بين يديه وكأنه متعبد فى محراب وعليه رداؤه الابيض السابغ يستحث جهده لاكماله قبل أن يغيب عن الدنيا.

وهل يفوت الواقف على جهاد الخطيب بقلمه وبرهانه وثقافته وقوفه فى وجوه أدعياء التجديد الذين دعوا للتغريب والاخذ بكل ما جاء من الغرب فمن أقوال الخطيب فى هذا الصدد: أن الغرب لا يريد خيرا للعرب الذين يقلدونه بكل ما يرسل اليهم فعلى الامة العربية أن تأخذماينفعها فى تطورها وتقدمها وتنبذ المساوىء وما أشد حاجتها الى محاكاة غيرها بالصناعة والنظام فى حياتها وأعمالها.

ومن أقوال الخطيب في تبيان الغرض من انشاء مجلتيه والعمل في الصحافة توخي الحقائق في علوم العرب وآدابهم ومقومات حضارتهم مستعينا بأقلام ذوي العقيدة القومية وأهل الاختصاص ونقد ما يردد المستشرقون عنا في دراساتهم ومؤلفاتهم، وخلاصة الكلام كانت صحفه تمثل الاتجاه الصحيح في خلق فكر عربي اسلامي صحيح يقاوم التيارات التي كانت تواجه العرب والمسلمين.

ومما أثر عن الخطيب قوله: أن الناطقين بالضاد لا تثبت لهم نهضة ما لم تقم على دعامتين إحداهما المرونة في الاقتباس مما في حضارات الأمم الاجنبة.من وسائل القوة وعلم الادارة وانصراف الافراد الى الاختصاص بعلوم واعمال جادة متقنة.

ويطول المجال اذا عددنا مقالاته في العربية وقوميتها والحفاظ عليها وأن لغتها تمثل أمتها وربما كانت أغنى من أية لغة أخرى.

وبعد فالمجلات التي أشرف على اخراجها كانت تصرفه عن التأليف الغزير فلم ينشر من كتبه المطبوعة إلا القليل منها: اتجاه الموجات البشرية في جزيرة العرب. وتاريخ مدينة الزهراء والاندلس والرعيل الاول في الاسلام والأزهر في ماضيه وحاضره من وجهة نظره في عصره وذكرى موقعة حطين ونقل الخطيب عن التركية التي أجادها كتاب « سرائر القرآن » وغيره، كما أصدر « الحديقة » في كتيبات وفي عدة اجزاء بلغت الثلاثة عشر جزءاً احتوت روائع في لغة العرب وآدابهم.

وفي تحقيق التراث كانت لمحب الدين الخطيب مشاركة قديمة طويلة لكنها متقطعة اذ كان هذا المحب يؤثر غيره على نفسه فيعينه على نشر مخطوطة بكل عناية وإخلاص، أما تحقيقاته هو فلم تكن ضخمة ولا كبيرة لان شؤون المجلات التي كان يشرف عليها بنفسه والمطبعة التي رافقها في معيشته وتكاليفها كانت تشغله عن التراث الذي أحبه ودعا للمحافظة عليه.

وفتحت مصر الكريمة ذراعيها حفية بنزيلها الخطيب الذي ملك النفوس بمروءته وأدبه وقلمه الحر الرصين واستهوى المسامع بخطبه الرائعة وأحاديثه الشائقة وقدر الشيخ محمد رشيد رضا ثقافة الخطيب الدينية والفكرية، فعهد اليه بالتدريس والتوجيه وكان الاستاذ محب الدين في أثناء ذلك لا يفتر نشاطه الوطني بين اخوانه وجيرانه في أرجاء البلاد العربية.

لم يكن سياساً محترفاً يخفق في الآفاق مستجيباً للتيارات الحزبية والدواعي الزمنية وإنما كان وطنياً مثالياً يسعى إلى خير الأمه والوطن ويؤمن بالعروبة مرتقياً صباحها الموعود وفي سبيل هذه الأماني الغالية كنت تجده يوماً في اليمن وآخر في نجد وحينا في العراق بل كانت له في إبان المحن والملمات يد بيضاء في إنقاذ كثير من ساسة العرب من السجن والإعدام وقد عرف مثلهم عذاب الحبس والتشريد في سبيل وطنيته ومن أجل أهدافه الاصلاحية.

هذا هو الخطيب: محب الدين الذي أحب أمته ولغته ووقف عليها علمه وحياته وزهد فيما أقبل عليه أنداده من العلماء

ولاعجب إذا عده الثقات من المجاهدين الذين شهدوا كفاحه وسعيه من أعلام العروبة والاسلام وقد بقيت ذكراه رفافة على ضفاف النيل حتى جاء أجله وطواه الردى بعد الثمانين ولئن لم يكرم الخطيب هذا فى حياته فقد دخل التاريخ مع الخالدين من بابه الكن.

* * *

-١٢-

حبيب الزحلاوى

يحسب الذين سمعوا بهذا اللقب الملحق باسم حبيب أنه من زحلة فى لبنان والواقع أنه دمشقى من حى الميدان وقد هاجر إلى مصر مكافحاً للمعيشة فدخل محل « صيدناوى » ليكون عاملاً فيها وقد عهد إليه فى هذا المحل أن يكون تابعاً لقسم الأحذية وفى المستقبل أخذ البعض يعيرونه بعمله فأنشأ فى بولاق محلاً لبيع الخردة قرب جامع السفانية وكنا نرى الزحلاوى فى النادى الشرقى بالقاهرة ولما أوفد زوجى زكى المحاسنى إلى مصر دعانا إلى حفل تعارف وتكريم كان فيها تيمور ودرينى خشبة وغيرهما وكانت له صداقة مع العقاد الذى كتب مقدمة لأول مؤلفاته وكان صريحاً فى هجومه وفى مرة سمعنا الأستاذ نقولا حداد يلقى فى النادى محاضرة عن الكواكب فرفع الزحلاوى يده وقاطعه مصححاً. ولما قامت الثورة المصرية عام ١٩٥٢ ألف كتاباً عنوانه « شيوخ الأدب الحديث» حمل فيه على رواد الأدب الحديث واتهمهم بالملق والنفاق وقدم نسخة منه للرئيس عبد الناصر فشجعه واستزاده من الحملة على أعداء الصدق والجرأة.

وكان الزحلاوى يكتب القصة فقبل نزوحى إلى مصر أهدى إلى مؤلفه « شباب قلب » ولما ضاق باقامته فى مصر مضطهداً من أسرته جاء يشكو لى همومه وتنكر أسرته له فهاجر إلى برانكا فى أمريكا اللاتينية إذ كان له قريبة فيها فأقام عندها وكان يكتب إلى نادماً على فراقه أرض مصر ولا أدرى إن كان توفى فى غربته بعد أن امتد به العمر إلى الثمانين.

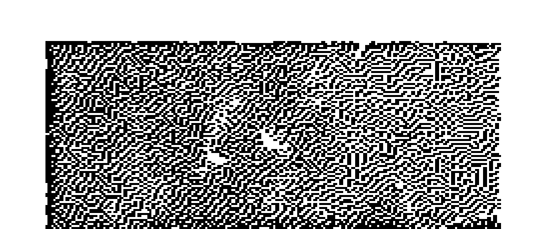
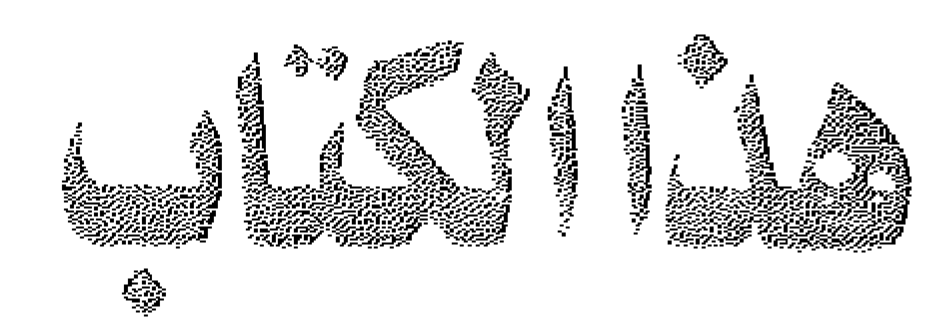
والحق أنه عرفنا بكثير من السوريين واللبنانيين المتمصرين فكنا نجتمع بهم فى النادى الشرقى وفيهم خليل ثابت وخليل مطران ومشاقة والزيات صديقه حيث ينشر فى الرسالة بعض مقالاته.

ومنذ سنين جاء مرة إلى دمشق مع عامر العقاد الذى أمنه على بعض ماله وكتبه وتركها وديعة عنده لأسرته بعد مماته. وحلا فى فندق علام بحى القصاع فدعوناهما إلى كازينو دمر، وصفا قلب الزحلاوى على المحاسنى وعاد إلى صداقته معه بعد طول انقطاع.

* * *

رقم الإيداع : ٢٠٠٠/٤٣٤٨
ISBN : 977-281-132-4

مطابع الدار الهندسية ت : ٥٤٠٢٥٩٨

هذا الكتاب

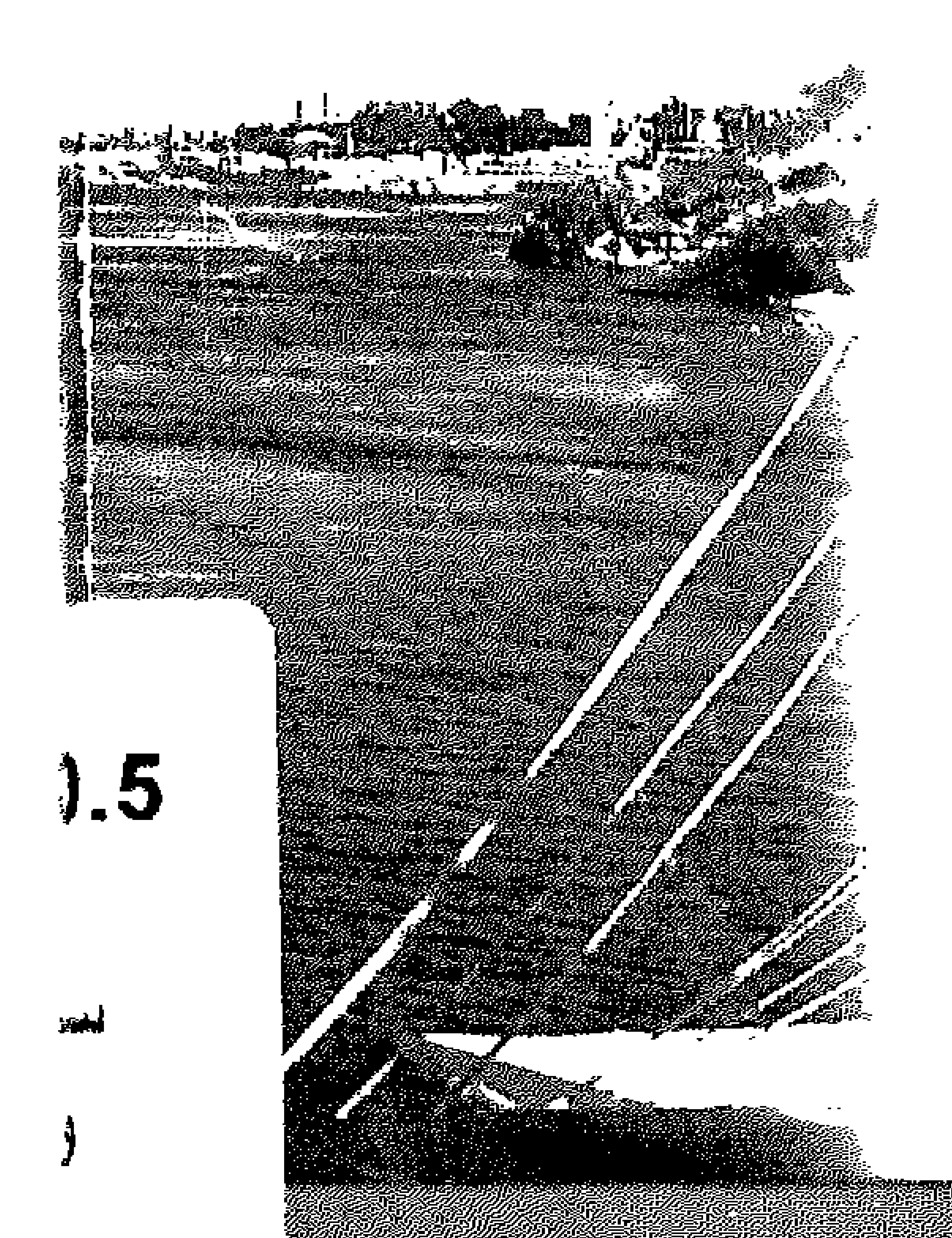
السيدة/ وداد سكاكينى هى الأديبة اللبنانية السورية قرينة الأستاذ الدكتور/ زكى المحاسنى الأديب السورى والمفكر العربى الشهير ، عاشت فى مصر فترة من الزمن ونشرت بها أحسن أعمالها من كتب ودراسات ومقالات .

والكتاب الذى نقدمه لها اليوم لم ينشر فى حياتها وماتت عنه - يرحمها الله - وهو مخطوط لم ير النور .

والكتاب عبارة عن إثنتى عشرة ترجمة لإثنى عشر رجلاً رحلوا أساساً من الشام وعاشوا حياتهم فى مصر ، احتضنتهم أرض مصر ، وعلى ضفاف نيلها العظيم تفجرت مواهبهم وإبداعاتهم وأعطوا مصر والعروبة أقصى ما عندهم .

ومن هذا المنطلق شاءت الأديبة الكبيرة أن تصور بأسلوبها الرشيق الذى عهدناه منها دائماً وبتحليل عميق حياة هؤلاء المهاجرين إلى مصر وآثارهم الفكرية وأثر مصر عليهم .

وتخليداً لذكرى الراحلة العظيمة والأديبة الكبيرة/ وداد سكاكينى ، نقدم هذا الكتاب .



الناشر

ISBN : 977-281-132-4



ACADEMIC BOOKSHOP